1

أكذوبة تحريف القرآن

بين الشيعة والسنة



تأليف : رسول جعفريان

تقديم: د. محمد عمارة

مكتبة النافذة

أكذوبة تحريف القرآن

بين الشيعة والسنة

تأليف:

رسول جعفريان

تقديم:

د. محمد عمارة

مكتبة النافذة

أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة و السنة

رسول جعفريان

الطبعة الأولى / 2006

رقم الإيداع 7624 / 2006

الترقيم الدولى / 80 - 31 - 6189 - 977

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل

تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٢

Email : alnafezah@hotmail.com

القـــرآن يتحـــدى

تقديم بقلم دكتور/ محمد عمارة

عندمـا نزل الروح الأمـين - جـبـريل ﷺ بالقـرآن الكريم على قلب الصـادق الأمين محـمـد بن عبـد الله ﷺ .. مثل هـذا القـرآن - لأول مرة في تاريخ مـعـجـزات الأنبياء والمرسلين: «المعجزة.. والرسالة» معًا.. ففي الرسالات السابقة على رسالة الرسول الخاتم كانت المعجزات منفصلة عن كتب الرسالات.. وكانت معجزات مادية، تدهش العقل الذي كان في طور الطفولة، يحتاج إلى الانبهار بالمدهشات.. وعندما بلغت الإنسانية سن الرشد، جاءت معجزة الرسالة الخاتمة والخالدة معجزة عقلية - هي القرآن- الذي يحتكم إلى العقل، ويدعو للتفكر والتدبر والنظر، ويستنفر العقل للتعقل، بدلاً من إدهاشه وشله عن التفكير..

وبعـد أن كـانت المعـجـزات المادية - في الرسـالات السـابقـة - حـجـة على من شاهدها واندهش بها فقط- ومن ثم فإنها موقوتة - جاءت معجزة الرسالة الخالدة في ذات الكتاب الخالد، الذي تعهد الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).. ولم يتركه لحفظ الناس - الذين يجوز عليهم الخطأ، والنسيان والضلال..

وإذا كـانت سنة التـدافع بين الحق والبـاطل، هي سنة إلهـيـة عـامـة ودائمـة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).فلقد جاء الإعجاز القرآني متحديًا لكل أصحاب العقائد والفلسفات الخارجة عن العبودية لله

الواحد - في عصر نزوله .. وعلى امتداد الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. الأمر الذي أثار - ولابد أن يثير - الافتراءات على هذا القرآن - منذ لحظة نزوله وعلى مر العصور.. إنه الإعجاز الخاتم والخالد لسلسلة النبوات والرسالات.. والتحدي الدائم للخارجين عن حظيرة الإسلام.. ومن ثم فإنَّ معارضته والافتراء عليه، ومحاولات تشويهه، هي الأخرى دائمة على امتداد العصور..

ولذلك، فإنَّ آيات التحدي قد انتشرت في سور القرآن الكريم:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١ ، ٢).

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج : ٢١ ، ٢٢).

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٧ - ٨٠).

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٨ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: ٣٩،٣٨).

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣، ٣٤).

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ١ - ٣).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود: ١٣ ، ١٤)

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣ ، ٢٤).

هكذا تناثرت عشرات آيات التحدي في سور القرآن الكريم، معلنة استحالة محاكاة هذا الإعجاز؛ لأنه تنزيلٌ من حكيم حميد.

★ ★ ★

عندما تحدى القرآن جميع المكذبين بأنه الوحي المجسد لنبأ السماء العظيم.. ودعاهم - إن كانوا صادقين - أن يستجمعوا طاقاتهم وملكاتهم، ويجمعوا شركاءهم ومعبوداتهم، ليأتوا بعشر سور من مثل القرآن.. أو بسورة من مثله.. استخدم مصطلح «المثل».. وذلك لحكمة بالغة لا يدركها إلا البلغاء، الذين يعرفون أسرار البلاغة التي بلغت الذروة في هذا القرآن الكريم.. ففي التشبيهات والمقارنات هناك عدة مصطلحات، لكل منها معنى محدد في هذه التشبيهات والمقارنات..

هناك مصطلح «النِّد». وهو يعني المشاركة في الجوهر فقط..

وهناك مصطلح «الشِّبه».. وهو يعني المشاركة في الكيفية فقط..

وهناك مصطلح «الشَّكل».. وهو يعني المشاركة في القدر والمساحة فقط..

لكن مصطلح «المثل» - كما يقول الراغب الأصفهاني [٥٠٢هـ - ١١٠٨م] - في كتابه [المفردات في غريب القرآن] - عام في جميع ذلك.. أي معناه المشاركة في الجوهر .. والكيفية .. والكمية.. والقدرة والمساحة- جميعًا-..

إن في القرآن سجعًا.. لكن وجود السجع في الكلام لا يجعل هذا الكلام «مثل» القرآن.. وإن في القرآن آيات جاءت منظومة مثل نظم الشعر : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، لكن الشعر لا «يماثل» القرآن.. إذ لابد «للمثل»

من المشاركة في جميع الوجوه.. وليس في وجه واحد من الوجوه..

كذلك تميز القرآن وامتاز وفارق كل ألوان الإبداع البشري في الصنعة والإبداع.. إنه قرآن عربيّ، لا تخرج كلماته وآياته وسوره عن حروف العربية ومفرداتها.. ومع ذلك، فإن أرباب البلاغة قد اكتشفوا - ولا يزالون يكتشفون- أن الإبداع والتركيب والصنعة في هذا القرآن الكريم قد تميزت وفارقت كل ما اعتاده البشر الذين استخدموا ذات المفردات، بما في ذلك صناعة الحديث النبوي، الذي صاغه الرسول ﷺ وهو الذي أوتي جوامع الكلم - .. ولذلك، فلقد أصاب الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] لأنه أحد بلغاء العصر - كبد الحقيقة، عندما قال: «إن الكلام العربي: شعر.. ونثر.. وقرآن».

وعلى سبيل المثال، فإن أسلوب القرآن وصنعته يتفردان - دون كل صناعات الأساليب البشرية- باستخدام كلمة «المطر» في العذاب والأذى والانتقام..

أما في السراء فيستخدم كلمة «الغيث»!..

ويستخدم مصطلح «التغيير» للسلبي. وفي الإيجابي يستخدم مصطلح «الإصلاح»!..

و«المرضع» - في القرآن- هي المرأة في فترة الرضاعة.. أما «المرضعة» فهي المرأة في حال الإرضاع!..

و«الجسم» - في القرآن - يأتي للحي.. أما الميت فهو «جسد»!..

و«السنَة» تأتي للشمسية.. بينما «العام» يأتي للقمرية!..

«والقسَم» يأتي لمطلق اليمين. بينما «الحلف» هو للحنث في اليمين!..

وهنا فارق بين «المجيء» وبين «الإتيان» - في القرآن الكريم- فالمجيء يكون من مكان أو زمان قريب .. بينما الإتيان يستخدم في حالة المكان أو الزمان البعيد!..

وكلمة «العباد» تغلب في المؤمنين المطيعين، بينما كلمة «العبيد» تغلب في الكفار العصاة!..

ولقد جاءت كلمة «السماء» - في القرآن الكريم - مفردًا وجمعًا.. بينما جاءت الأرض مفردة فقط ودائمًا!.. وجاء «البصر» مفردًا وجمعًا، بينما جاء «السمع» مفردًا فقط..

وجاء «النَّهار» مفردًا، وإذا جمع استخدم لفظ «أيام» - لا نُهر- !..

وجاء «الصراط» مفردًا، وإذا أريد الجمع استخدم لفظ «سُبُل»!..

وجاء «النور» مفردًا، لا جمعًا!..

وجاءت «الظلمات» جمعًا لا مفردًا!..

وكان التزام الجمع في «الألباب» و«الأكواب» و«الأصفاد» و«الأباريق»، و«السرابيل» و«الأساطير» و«الأرائك» و«العالمين»، ولم يرد أي منها مفردًا ففارقت الصنعة في القرآن الكريم كل صناعات الأساليب البشرية بما في ذلك الحديث النبوي الشريف!.

●في القرآن الكريم من أوجه التناسب ما يعلو به على أية «هندسة» بشرية في أي أسلوب من الإبداعات الإنسانية.. وعلى سبيل المثال، فالحروف المعروفة التي بدأت بها بعض السور القرآنية - مثل «الم».. «وحم».. «والر» إلخ - قد اشتملت على نصف حروف الأبجدية العربية - أربعة عشر حرفًا- وفي هذه الحروف الأربعة عشر حرفان منقوطان هما (ق، ن) - واثنا عشر حرفًا غير منقوطة!.. وفي أحرف الأبجدية الأخرى الأربعة عشر حرفان غير منقوطين - هما (و، د)- والاثنا عشر الأخرى الباقية منقوطة!..

وفي هذه الحروف - التي بدأت بها بعض السور - نصف الحروف المهموسة في الأبجدية العربية!.. ونصف الحروف المقلقلة!.. ونصف الحروف المهموزة!..

وفيها من مخارج الحروف النصف من حروف كل مخرج!!..

وإذا كان القرآن الكريم قد بدأ بـ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ - في سورة الفاتحة.. فإن كل أرباع القرآن الكريم الأربعة - قد بدأت بـ ﴿الحمد لله﴾!.. فالربع الثاني يبدأ بالأنعام ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ - والربع الثالث يبدأ بالكهف - ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾-.. والربع الرابع يبدأ بفاطر - ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾..!!.

وفي هذه القطرة - من البحر - البرهان على أن هذه الهندسة المفارقة لكل ألوان هندسات الأساليب البشرية، هي إشارة إلى كنوز الإعجاز المودعة في هذا القرآن الكريم- الذي لا تنتهي عجائبه-..

ولأن الصنعة لا يدرك قدرها ومستواها إلا «الصُّنَّاع».. ولأن العلم لا يدرك أسراره إلا العلماء.. رأينا شهادات أهل صناعة البلاغة لإعجاز هذا القرآن .. ولتفرده ولمفارقته طاقات البشر والمعتاد والميسور للناس.

● فأبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم [٩٥ .هـ - ١هـــ - ٥٣٠ - ٦٢٢م]- وهو من زعماء قريش.. وزنادقتها.. ومن قضاة العرب في الجاهلية- والملقب «بالعدل» - لأنه كان عدل قريش كلها عندما سمع رسول الله ﷺ يتلو - وهو في المسجد - سورة «غافر» - أدرك - رغم شركه- أنه أمام صنعة إعجاز مفارقة لقدرات البشر وعاداتهم وإمكاناتهم.. فقال: «والله لقد سمعت من محمد كلامًا آنفًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكُهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، والله ما هو بمجنون، فقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنْقه ولا تخالجه ولا وسوسته.. والله ما هو بشاعر، فد عرفنا الشعر كله، رَجَزَه وهَزَجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بشاعر. ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنَفْثه ولا عُقده.. والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أصله لمغدق،

وإن فرعه لمثمر. وإنه يعلو لا يُعلَى عليه.. وما أنتم - يا معشر قريش- بقائلين - فيه - من هذا شيئًا إلا وأنا أعرف أنه باطل»![1].

لقد شهد الصانع الماهر - لأنه «عدل» - رغم شركه - بأن ما سمعه «ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن» أبدًا.. ومن ثم فلابد أن يكون كلام رب الإنس والجن - سبحانه وتعالى رب العالمين-..

● أما عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - أبو الوليد [٢هـ - ٦٢٤م]وهو من سادة الشرك في مكة، فلقد شهد هو الآخر - رغم شركه - بمفارقة القرآن الكريم لطاقات البشر وقدراتهم .. فقال: «لقد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة.. ووالله ليكونن لهذا الذي سمعت نبأ عظيم»!

هكذا وقف الخبراء، وأساطين البلاغة والفصاحة، أمام هذا الإعجاز القرآني، شاهدين بألوهيته.. حتى وإن منعتهم العصبية الجاهلية وتقليد الآباء من إعلان الإيمان برسالة هذا القرآن الكريم.

★★★

في سنة ١٩٢٦م كتب الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م]كتابه [في الشعر الجاهلي] وكان الرجل في ذلك التاريخ يمرُّ بمرحلة انبهاره بالنموذج الغربي.. فسطر في هذا الكتاب ثمانية وعشرين سطرًا شكك فيها ببعض ما ورد في القرآن الكريم - من رحلة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - إلى الحجاز، وإقامتهما قواعد البيت الحرام - .. ثم حذف الرجل هذه السطور، وطور كتابه، وغير عنوانه - إلى [في الأدب الجاهلي] -وتجاوز هذه المرحلة التي

---

(١) الإمام محمد بن يوسف الصالحي (سبل الهدى والرشاد) جـ ٢ ص ٤٧٢ ، ٤٧٣، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد . طبعة القاهرة ١٩٩٧م

كان فيها منبهراً بمناهج الشك الغربية - الشك العبثي لا المنهجي - .. ووصل إلى الدعوة إلى وجوب أن ينص في الدستور على ألا يصدر قانون يخالف القرآن الكريم!..

لكن طه حسين - حتى في مرحلة جنوحه الفكري - وبسبب من أنه كان واحدًا من أبرز بلغاء العصر، الذين لم يلحنوا قط في العربية.. ولأنه كان أحد أساطين الإدراك لأسرار التركيب القرآني والبيان العربي.. تحدث عن القرآن الكريم باعتباره إعجازًا للبشر.. ومتميزًا عن صناعات البشر في عالم الأساليب .. فكتب عن تفرد القرآن وعلوه على كل مستويات الإبداع البشري، يقول: «لقد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب: إن القرآن ليس شعرًا ولا نثرًا، وإنما هو قرآن، له مذاهبه وأساليبه في التعبير والتصوير والأداء.

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع، وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر.

ومن أجل هذا خدع المشركون من قريش، فقالوا إنه شعر، وكذبوا في ذلك كذبًا شديدًا، ومن أجل هذا خدع كذلك بعض المتتبعين لتاريخ النثر، فظنوا أنه أول النثر العربي، وتكذبهم الحقائق الواقعة تكذيبًا شديدًا فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين - وقد حاول بعضهم ذلك- أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية»[1]!..

نعم.. كتب طه حسين ذلك.. وشهد بهذا منذ أربعينيات القرن العشرين.

وإذا كان نفر من أساطين الشرك في الجاهلية، قد شهدوا للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون من كلام الإنس ولا من كلام الجن.. ومع ذلك منعتهم العصبية

---

(١) طه حسين (الفتنة الكبرى - عثمان) ص ٣٢ - طبعة القاهرة ١٩٨٤م.

لما وجدوا عليه آباءهم من الإيمان بما جاء به القرآن، ومن التحول عن الجاهلية إلى الإسلام.. فإن الجاهلية التي نزل القرآن على أهلها قد شهدت ردود فعل أخرى.. لكنهم جميعًا قد وقفوا أمامه عاجزين عن الإتيان بشيء من مثله..

فالذين قالوا إنه سحر.. وإن الذي جاء به ساحر.. قد سلموا بأنه فوق ما يستطيعون!!.. وكذلك الذين قالوا إنه أساطير الأولين.. سلموا بأنهم لا يستطيعون محاكاته، لأنهم ليسوا هؤلاء الأولين!!.. ومثلهم الذين قالوا إنما يعلمه بشر أجنبي لا يستطعون محاكاته والإتيان بمثله!!.. جميعًا سلموا بعجزهم عن مجاراة القرآن الكريم، معلقين سبب العجز هذا على مختلف الأسباب!.. اللهمَّ إلا واحدًا من هؤلاء، دفعته العصبية القبلية - «ضيقه» - ضد مضر وقريش، إلى أن يحاول تقليد القرآن، فجاءت محاولته نموذجًا خالدًا من نماذج السخرية والهزل والإضحاك. وذلكم هو مسيلمة الكذاب [١٢هـ - ٦٣٣م] الذي قال لأتباعه إن «رحمانا» ينزل عليه.. وإن له - هو الآخر - كتابًا، جاء فيه: «إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر.. والميل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل.. ضفدع بين ضفدعين، نقيٌ ماتنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين. والليل الأطخم، والذئب الأدلم، والجزع الأزلم، ما انتهكت أُسيد من محرم.. ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشي»!!..

ولقد ظلت عبارات مسيلمة الكذاب هذه تثير السخرية، على امتداد أربعة عشر قرنًا. حتى جاء أحفاده ليصنعوا شيئًا من ذلك ويضعوه على شبكة «الإنترنت» قائلين إنه قرآن جديد!!.

★★★

● في الموقف الغربي من القرآن تنوعت الاتجاهات التي تصدت للقرآن الكريم..

● فوجدنا تيار العداء الفج والصريح للقرآن الكريم.. ومن نماذج هذا التيار «مارتن لوثر» [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] الذي قال عن القرآن الكريم: «أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن.. مليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع.. وإن إزعاج محمَّد، والإضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرُّف المسيحيين عليه»!!..

فهو يخاف القرآن .. ويسبه.. ويترجمه على النحو الذي يحقق هذا السباب!!.

وفي هذا الاتجاه سار الشاعر الألماني «جوته» [١٧٤٩ - ١٨٣٢م].. الذي وصف القرآن الكريم بأنه «الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي فتثير اشمئزازنا دائما كلما شرعنا في قراءته»!!

ولعل في جهل هذا الشاعر بالعربية ما جعله جاهلا بأسرار الجمال والجلال المودعة في القرآن.. والتي رآها أهل البلاغة العربية - حتى مع كفرهم - سحرا يستحيل على المجاراة والمحاكاة والتقليد!..

وحتى الرجل، الذي جعل من رسول الله ﷺ إمام العظماء - «توماس كارليل» [١٧٩٥ - ١٨٨١م]- نراه - لجهله بلغة القرآن وأسرار بلاغته والإبداع الإلهي فيه- يقول: «إن محمدا شيء.. والقرآن شيء آخر.. فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا يُحتمل»!!..

●وهناك «الحداثيون» - من الغربيين والمتغربيين - الذين أدركوا عبثية الهجوم الفج والصريح على القرآن الكريم.. وكيف أن هذا يزيد المسلمين استمساكا به واعتصاما بحبله.. فذهبوا مذهب التأويل العبثي، الذي يفرغ القرآن من حقائق محتواه، ويحوله إلى رموز لا حقيقة فيها.. وإلى تاريخ لا صلاحية له في الحاضر والمستقبل..

ومن أحدث مخططات هذا المنهج في التعامل مع النص القرآني، التقرير الذي أعدته «مؤسسة راند» الأمريكية، التي تشير على صانع القرار الأمريكي - سنة ٢٠٠٤م- والذي نشر تحت عنوان [خطة أمريكية لإعادة بناء الدين الإسلامي].

وفيه تقسيم لتيارات الفكر في العالم الإسلامي إلى أربعة تيارات:

١ - الأصوليون: الذي يرفضون قيم الثقافة الغربية المعاصرة..

٢ - والتقليديون: الذين يريدون مجتمعا محافظا، وهم في ريبة من الحداثة والتغيير..

٣ - والعلمانيون: الذين يريدون أن يقبل العالم الإسلامي الفصل بين الدين والدولة.

٤ - والحداثيون: الذين يريدون العالم الإسلامي جزءًا من الحداثة الغربية.. ويريدون تحديث الإسلام ليواكب العصر..

ثم تنصح هذه الخطة صاحب القرار الأمريكي بدعم الحداثيين، لأنهم الأكثر إخلاصا في تبني قيم وروح المجتمع الغربي الحديث.. وهم - مع العلمانيين - الأقرب إلى الغرب في ضوء القيم والسياسات.. ومن بين ميادين الدعم الأمريكي المقترح لهؤلاء الحداثيين - فيما يتعلق بالقرآن الكريم - «تشجيع تأويلهم للنص القرآني - الحرفي - الذي نعتبره تاريخا وأسطورة»!! [(١)].

لقد سبق لرئيس الوزراء الإنجليزي «غلاد ستون» [١٨٠٩ - ١٨٩٨م]أن قال: «إننا لا نستطيع هزيمة المسلمين طالما ظلوا متمسكين بهذا القرآن»!.

ولذلك، تعددت مظاهر العداء الغربي - والمتغرب - للقرآن الكريم.. وتتراوح بين الهجوم الفج.. وبين ألوان التأويل التي تفرغ القرآن من حقائقه الخالدة..

---

(١) [خطة أمريكية لتحديث الدين الإسلامي. ص (١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٧١، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٩٣، ٢٤ ترجمة: د. محمد يحيى. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

وبين محاولاتهم التشكيك في الحفظ الإلهي لهذا القرآن الكريم..

★★★

لأن مقاصد الهيمنة الاستعمارية الغربية هي نهب الشرق، والسيطرة على مقدراته.. ولأن الإسلام كان ولايزال هو الدرع والطاقة المحركة للأمة الإسلامية للجهاد ضد هذه الهيمنة الغربية، كان عداء مؤسسات الهيمنة الغربية - السياسية والدينية والإعلامية - للإسلام ثابتًا من الثوابت على امتداد تاريخ هذه الهيمنة وهذا الاستعمار.. ولأن القرآن هو ديوان الإسلام وجماع رسالته، والضابط المحفوظ والحافظ للفكر الإسلامي والمجدد لحيويته وحياته، كان نصيب القرآن كبيرا من هذا العداء!..

وفي العقود الأولى من القرن العشرين، عمت بلوى احتلال الغرب للأغلبية الساحقة من ديار الإسلام، وزاد تركيز الآلة الفكرية الغربية ضد رابطة الجامعة الإسلامية، كي لا تتوحد الأمة الإسلامية، فتنهض لتحرير ديارها.. ومن ثم تجددت وتصاعدت حملات الاستشراق الغربي ضد القرآن، لأنه مصدر الجامعة الإسلامية وإمام المسلمين في المقاومة والجهاد..

ومن بين الحملات الاستشراقية التي شنت على القرآن الكريم - في تلك الحقبة - تلك التي تولى قيادتها عدد من المستشرقين اليهود، الذين أرادوا التشكيك في وحدة النص القرآني، والزعم بأن المصحف الذي بين يدي المسلمين - مصحف عثمان - قد خالف في بعض الحروف والآيات والسور المصاحف التي كانت بأيدي بعض الصحابة، قبل جمع عثمان الأمة على هذا المصحف الواحد.. لكن هذه المحاولة، التي استنفدت جهود وأعمار عدد من المستشرقين، قد انهارت على رؤوسهم، حتى لقد اعترفت دائرة المعارف الإسلامية - التي كتبها هؤلاء المستشرقون بهذا الفشل والانهيار.. فتقول عن المصير الذي انتهت إليه جهود المستشرق اليهودي «برجشتراسر» - الذي تخصص وتبحر في «القراءات

الشاذة»!!.. ومن بعده المستشرق الأسترالي «جفري آرثر».. انتهت - بعبارة دائرة المعارف - «إلى أنه في الثلاثينيات من القرن العشرين كان المستشرقون قد جمعوا بالفعل هذه الاختلافات وحللوها، وانتهوا إلى أنه لا قيمة لها فانهارت الثقة فيها.. وهوت محاولة المستشرقين إصدار نسخة أخرى من القرآن غير نسخة عثمان، لقد ظهر أن هذه المحاولة عرجاء.. بل إن المستشرق «فيشر» [١٨٦٥ - ١٩٤٩م]انتهى إلى أن معظم الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف الصحابة وغيرها موضوعة مكذوبة.. ووصل إلى هذه الحقيقة - أيضا - الباحث «بيرتون» - في كتابه عن جمع القرآن - والباحث «ونسبرو» - في كتابه دراسات قرآنية فقالوا: إن كل - وليس بعض - الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف الصحابة وغيرها موضوعة.. والحقيقة هي أن محمدا كان قد جمع القرآن بالفعل أثناء حياته، وأن القرآن على عهده كان مصاغا بشكله النهائي» [(١)]..

وهكذا سقطت الجهود الهائلة التي استغرقت عقود متطاولة من أعمار المستشرقين اليهود، للطعن في وحدة النص القرآني، ويقولوا إن ما حدث للنصوص الدينية الأخرى لم يسلم منه القرآن.. انهارت هذه الجهود.. واعترف بانهيارها المستشرقون أنفسهم الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية - في المادة التي كتبوها عن «القرآن»..

وغير هذه الجهود الفاشلة التي أضاعت أعمار أصحابها، ثم انهارت مع هلاك هذه الأعمار.. كانت هناك حملة غربية أخرى حاول أصحابها - المستشرقون - إثبات أن القرآن ليس سوى هرطقات واستعارات من اليهودية والنصرانية.. لكن المستشرق الإنجليزي الحجة «منتجمري وات» الذي بذل من عمره ثلث قرن في دراسة الإسلام، وتوج هذه السنوات بكتابه [الإسلام والمسيحية في العالم

---

(١) [دائرة المعارف الإسلامية] جـ (٢٦) ص (٨١٧٩ - ٨١٨٦)، طبعة القاهرة - الهيئة العامة للكتاب. سنة ١٩٩٨م.

المعاصر]وقال فيه عن هذه الحملة: «لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة (مودة) تقديم القرآن للقارئ الأوربي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب الصليبية، عندما كان على أوربا الغربية.. التي كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام - أن تقوي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام.. إن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية.. فلقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن اليهودية والمسيحية.. وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نقائه الأولى»..

وهكذا انتهت جهود هذه الحملة الاستشراقية - هي الأخرى - إلى السقوط والزوال!.

★★★

في مواجهة الهجمة، بل الهجمات الغربية على الإسلام، وبالذات على القرآن الكريم، تصدى المستشرق الحجة «منتجمري وات» - الذي درس الإسلام على امتداد ثلث قرن، وأنجز دراساته العليا - الماجستير والدكتوراه - في الفكر والفلسفة الإسلامية - تصدى لهذه الهجمات الظالمة - وخاصة في كتاب [الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر]- الذي كتبه سنة ١٩٦٩م.. فكتب عن القرآن الكريم، يقول:

«إن الوحي الإسلامي لابد من تناوله بجدية.. إن القرآن صادر عن الله، وبالتالي فهو وحي، وليس كلام محمد بأي حال من الأحوال، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدا ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين.

وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام في العالم كله، وقَبِلَهُ بشر من كل الأجناس تقريبا.. إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الإنسانية..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول إن كلمات القرآن ليست نتيجة أي تفكير واع منه.. إن القرآن لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية. وإن التجربة النبوية مع الوحي يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلي:

١ - محمد يشعر، وهو في حالة وعي، أن هناك كلمات تُلْقَى في روعه، أو تحضر في قلبه أو عقله الواعي.

٢ - وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن أبدا نتيجة أي تفكير واع من جانبه.

٣ - أنه يعتقد أن هذه الكلمات التي أُلقيت في روعه من قِبل «مندوب» أو «مبعوث» خارجي يتحدث إليه كَمَلَك.

٤ - أنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله تعالى.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التي أُوحِيت إليه، كان المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضا أن كلمة (آية) تعني علامة على القدرة الإلهية وتعني أيضا فقرة من الوحي.

وعندما تمت كتابة هذا الوحي شكَّل النص القرآني الذي بين أيدينا.. وفي الحديث عن جمع القرآن، نجد أن كلمة (جمع) قد استخدمت في آيات قرآنية مهمة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]..

ومن الممكن أن يكون التفسير الطبيعي لهذه الآيات: أن محمدا مادام يتبع

تلاوة من يتلو عليه (جبريل)، فإن الله تكفل بجمع الآيات المتفرقة، أو التي أُحي بها في أوقات مختلفة، ليجعلها في سياق واحد.

وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن زيد بن ثابت [١١ ق هـ - ٤٥ هـ ٦١١ - ٦٦٥م] أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل. ومن هنا فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه.

إن القرآن كان يُسَجَّل فور نزوله.. ولقد تبوأ القرآن دائما - في حياة المجتمع الإسلامي - مكان المركز، أو القطب، أو المحور، وصنع نسيج الحياة الإسلامية، والنظرة العقلية للعالم والكون» [١]..

تلك شهادة المستشرق الإنجليزي الحجة «مونتجمري وات» للقرآن، باعتباره وحيا إلهيا مباشرا.. وصادقا إلى رسول الله ﷺ ولصدق هذا الوحي الإلهي.. وصدق الرسول الذي نزل عليه الوحي.. ولمكانة القرآن الكريم - دائما وأبدا - في المجتمعات الإسلامية.. فهو المركز.. والقطب.. والمحور.. وصانع نسيج الحياة الإسلامية وفلسفة النظرة الإسلامية للعالم والكون.. ولأنه كذلك، فلقد تعرض لتهجم الجهلاء.. ولكنه حظي بإنصاف العلماء!.

★★★

للمرحوم الشيخ أمين الخولي [١٣١٢ - ١٣٨٥ هـ - ١٨٩٥ - ١٩٦٦م] -وهو شيخ الأمناء. الذي تتلمذ على يديه أجيال من كبار الأساتذة.. والذي يحظى بالاحترام والتقدير لدى كثير من العلمانيين - لأمين الخولي كتيب صغير [عن القرآن الكريم]- كتبه في الأصل تعليقا على مادة «القرآن» في دائرة المعارف

---

(١) مونتجمري وات [الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر] ص (٨٣). ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. طبعة القاهرة - مكتبة الأسرة - الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠١م.

الإسلامية - التي كتبها المستشرقون - ولقد أعدت نشر هذا الكتيب، وقدمت له في سلسلة «في التنوير الإسلامي»..

ولأن بعضا من أحفاد «مسيلمة الكذاب» - بل وبعضا من الذين يتمسحون في أمين الخولي - يهرفون بما لا يعرفون حول القرآن الكريم، فإن من المفيد أن نضع أمام أعينهم - إن كانوا يبصرون - ما كتبه هذا الشيخ الجليل عن القرآن..

●لقد تحدث أمين الخولي عن مقاصد الترتيب للقرآن، وفلسفة هذا الترتيب، فقال: «إنه ترتيب متفرد، ينبغي أن يقدر ما فيه من القصد إلى أن يكون - أولا، وقبل كل شيء، ومع كل شيء - كتاب هداية نفسية خلقية اجتماعية، تتناسب مع عموم الدعوة الإسلامية، وتوجيهها إلى الإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان. وتتناسب مع دوام الدعوة الإسلامية، واستمرارها إلى آخر الدهر، وعلى مدى الزمن، مادامت على هذه الأرض حياة. كما تتناسب كذلك مع ختم هذه الدعوة لرسالات السماء إلى الأرض، واستطاعة الدنيا أن تكتفي بها، وتلتقي عندها.

فالقرآن يمس دائما الأصول الكبرى، والأسس العامة، والقواعد الكلية، في إطار من الشعور الديني المؤمن، والفضيلة الخلقية المصلحة لنفوس البشر، المهيئة لهم أن يكونوا - في نشاطهم العملي وجهادهم الحيوي - أناسا أخيارا، أطهارا، أبرارا، غير متكالبين، ولا متناحرين، ولا متباغضين.

وإذا ما مس القرآن شيئا من التفصيلات تطلّبها واقع الحياة فلتكون كذلك مُثلا عامة، يرجع إليها الناس فيما أمرهم به من التبصر والاعتبار، بمثل قوله: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] .. وبذلك يمضون - على تغيّر أحوالهم، وتطور شئونهم، واختلاف بيئاتهم، وتنوع مشكلاتهم - وهم دائما أولئك المراقبون لربهم، المحكّمون لضمائرهم، المقدرون لمسئولياتهم.. يدبرون من أمورهم المتجددة ما تصلح به حياتهم.. في ظل تلك الخشية من قلوب وجلة، ونفوس مطمئنة، لا تنسى نصيبها من الدنيا، وتذكر مع ذلك اليوم الآخر، والحساب المرتقب.

ومن هذا الترتيب الذي توزعت في جميع أجزائه وآياته مواضع العبرة الهامة، نجد الهداية المرجوة، في كل قطعة منه، وكل بيان، وكل قصة، وكل موعظة»[١]..

●كذلك كتب الشيخ الجليل العلامة، عن تدوين القرآن - لحظة نزوله - وعن جمعه، فقال: «لقد كانت للرسول ﷺ عناية بنشر الكتابة في مجتمعه.. وكان له كتبة وحي يكتبون بين يديه القرآن، ويكتبون رسائله، وقد بلغ عددهم بضعة وعشرين شخصا. ورأى عليه السلام لبعضهم أن يتعلموا من اللغات غير لغتهم العربية.. وكذلك كُتب القرآن أولا بأول، مع حفظ ما ينزل منه كذلك أولا بأول.

إن القرآن، حينما تم نزوله مفرقا، كان من يحفظه نفر من أصحاب الرسول، منهم من حفظه كله بأجمعه، ومنهم من حفظ ما تيسر منه. وكان قد كُتب الكتابة التي مكّنت منها الظروف.. وهذا ما يمكن أن نسميه الجمع الأول للقرآن، إذا اجتمع به في صدور حفاظ أقوياء الحافظة.. واجتمع في مكتوبات، وإن لم تأخذ صورة المصحف أو الكتاب كما نفهمها اليوم، لتفرق المواد التي كانت عليها الكتابة، واختلاف أنواعها»..

هكذا تحدث الشيخ أمين الخولي - شيخ الأمناء .. وخريج الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي.. وأستاذ الجامعة.. وعضو مجمع اللغة العربية.. وأحد شيوخ التحقيق للتراث.. والمؤلف المتميز.. وأحد عقول العصر وبلغائه..

هكذا تحدث عن المقاصد الإلهية لترتيب آيات القرآن الكريم.. وعند التدوين والحفظ لهذا القرآن، على يدي رسول الله ﷺ وكيف أنجز الرسول وصحابته وعد الله سبحانه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ .

★★★

(١) أمين الخولي [عن القرآن الكريم] ص (٦٩، ٧٠). تقديم د. محمد عمارة. طبعة القاهرة - نهضة مصر سنة ٢٠٠٠م .

لقد نص المرحوم الشيخ أمين الخولي [١٣١٣ - ١٣٨٥ هـ - ١٨٩٥ - ١٩٦٦م] في حديثه عن القرآن الكريم، فعرض لعدد من القضايا.. ولعدد من الشبهات التي يثيرها خصوم هذا القرآن..

● عرض للحديث عن الجمع الذي قام به الصحابة- على عهد أبي بكر الصديق - والذي كان - في الحقيقة - جمعًا للصحائف التي كتب فيها القرآن على عهد الرسول ﷺ فقال شيخنا: «إن هذا الجمع الذي تم في عهد أبي بكر كان الجمع الذي يحقق المعنى المادي للجمع والضم - [فكأنه جمع الملازم في كتاب]- .. والحال التي تم فيها وبها هذا الجمع تهيِّئ من الاطمئنان إلى المجموع ما لا يكاد يتوافر مثله على مر التاريخ لما حفظت البشرية من نصوص وأصول..».

● وبعد هذا القطع - من هذا العالم المحقق - بأن القرآن قد حظي - في التدوين والجمع - بما لم يحظ به نص من النصوص على امتداد تاريخ البشرية قاطبة .. عرض لما يثار حول هذا التدوين والجمع للقرآن من شبهات.. فقال: «أما الأخبار التي تلقي ظلالاً على هذه الحقائق، فإننا لا نشعر بحاجة إلى الوقوف عند شيء منها، لغير سبب واحد يقضي بالانصراف عن ذلك:

فهي أخبار آحاد لا يسهل فحص أسانيدها، وهي، مع ذلك، عرضة للتأثر بأهواء ذوي الهوى من أصحاب العصبية الدينية، والخصومة الاعتقادية في كل حين روجها في القديم من روجها من هؤلاء، ويثير الغبار بها أشباه لهم في هذا العصر، من ذوي الأغراض السياسية والعتقادية المحترفين ذلك. وهي، مع كل، لا تمس القرآن من بعيد أو قريب لو تمثَّل الواقفون عندها الظروف والملابسات التي جُمع فيها القرآن هذا الجمع الثاني زمن أبي بكر، فحال الناس إذ ذاك، ومدى معرفتهم للقرآن، وحال من قام بهذا الجمع، وقدرته عليه، وقدر الرقابة العامة على ما يتم من عمل في ذلك والطاقة الإنسانية الممكنة في مثل هذا الجمع وما تهيأ منها للبشرية كل حين في حفظ مثل تلك النصوص الدينية أو الدنيوية، وما يتصل بكل ذلك من معان واعتبارات كبرى - تعطي ضمانات لمثل هذا العمل يكون

الوقوف بعدها عند مثل الأخبار المتناقلة عن طريقة الجمع، وأحواله، مما يبدو عبثًا لا طائل تحته..

وما أرى إلا أنّ تمثُّل حال المسلمين عند هذا الجمع سنة ١١هـ ، وحال القرآن فيهم، أولى للمعتقد والباحث جميعًا من الوقوف عند منثورات أخبار آحاد أكثرها معلقة لا سند لها، وهي خليقة باضطرابها أن تخفي الصورة الصحيحة المشرقة للحياة والناس، والظروف التي جُمع فيها القرآن جمع أبي بكر الثاني، بعد جمع الرسول الأول قبله..».

● وبعد تبديد هذه الشبهات - التي هي «عبث لا طائل تحته» - حقق الشيخ الخولي قضية جمع عثمان بن عفان الأمة على مصحف واحد. وقضية الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، فقال: «إن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع، وإنما هي لهجات مختلفة في اللغة العربية. وُجدت في القرآن جملة لأنها كانت سبع لهجات في كل آية وكل موضع من القرآن، ولقد كانت ضرورة حيوية اقتضاها الواقع اللغوي للعربية. وهذه الضرورة قد ارتفعت الحاجة إليها حين تغير حال المجتمع الإسلامي، عندما انضبط الأمر، وتدربت الألسن، وكثر الناس والكُتّاب. وعندما ارتفعت هذه الحاجة إلى الأحرف المختلفة جمع عثمان «المصحف الإمام».. فكان مصحفه حرفًا واحدًا. لقد غدا الناس - بعد جيل تغيرت فيه الحياة تغيرًا جوهريًا كبيرًا - لا ضرورة تقضي عليهم باستعمال حروفهم، لئلا يختلفوا، فقد صاروا بحيث يستطيعون الاتفاق.. وهذا الذي صنعه عثمان، إذا ما سميناه جمعًا، فإنه لجدير بأن يسمى جمع المسلمين، لا جمع القرآن «فإن جمع القرآن قد كان في عهد الرسول ﷺ بمعنى ضم أجزائه.. وفي عهد أبي بكر بما حفظ أصلاً رسميًا يكون مرجعًا، وعمل عثمان هو تهيئة هذا الأصل الرسمي للتداول العملي، على حال تلائم الدعوة الإسلامية التي امتدت وتمتد..»[1].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦ ، ٦٠ ، ٦١ .

هكذا تكلم أمين الخولي - شيخ الأمناء - فهل يتأمل ما قال هؤلاء «المحترفون من ذوي الأغراض السياسية والاعتقادية الذين يتعلقون بالعبث الذي لا طائل تحته»؟! أم أن أمراض القلوب قد أعيت حكماء الأطباء؟!

★★★

لم يترك الزنادقة بابًا من أبواب الطعن في القرآن الكريم والافتراء عليه إلا واقتحموه!.. ومن هذه الأبواب ما جاء في بعض كتب الإخباريين - أي الذين يلملمون الروايات ويثبتونها، دونما نقد أو مقارنة أو تصحيح - ما ورد في بعض كتب هؤلاء الإخباريين من الشيعة، من روايات تقول إن لعلي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- مصحفًا أكبر من هذا المصحف الذي بين يدي المسلمين اليوم.. وأن لفاطمة - بنت النبي ﷺ - هي الأخرى مصحفًا مخالفًا!!..

نعم.. لقد اقتحم الزنادقة هذه الأبواب.. وركزوا على أن أحد هؤلاء المؤلفين من الشيعة - الإخباريين - وهو «الميرزا حسين النوري» قد ألف كتابًا عنوانه [فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب]!!..

لكن الزنادقة لا يذكرون أن إخوتنا - من علماء الشيعة الإمامية - قد نقضوا وانتقدوا وفندوا كل الكتابات والروايات التي جاءت في تراث هؤلاء الإخباريين من علمائهم.. وذلك عندما أصدروا كتابًا عنوانه **أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة**] طبعته الدولة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بطهران سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م-.وقد قدم له الناشر- وهو الدولة - معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي - بمقدمةجاء فيها: «إنه ليس هناك مسلم واع موضوعي يؤمن بهذه الأكذوبة [أكذوبة التحريف] أو يرتب أثرًا عليها، وهذا ما يبدو لنا من استقراء أقوال العلماء واستدلالاتهم القوية على رد هذه الشبهة. وهذا الكتاب يعد محاولة جيدة لتأكيد هذه الحقيقة، بالإضافة إلى أنه يدفع الكثير من الشبهات التي حاولت إلصاق القول بالتحريف للقرآن بمذهب أهل

البيت، وهو بريء من هذه التهمة تمامًا. نعم يوجد في التاريخ أناس غرتهم الظواهر وابتلوا ببعض الاستدلالات غير المنطقية فراحوا يشككون في المسألة، إلا أن ضعف استدلالهم ومخالفتهم للضرورة الإسلامية القائمة طوت أفكارهم فلم يعد لها أي ذكر، وبقي النص القرآن ناصعًا قويًا قطعي السند، خالدًا معبرًا عن خلود الإسلام العظيم».

وبعد هذا التقديم لهذا الكتاب.. عرضت فصول الكتاب - الذي ألفه «الشيخ جعفريان» - لما ذكره «الميرزاحسين النوري» في كتابه [فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب].. فرأينا شهادة تلميذ النوري «الشيخ آقابزرك الطهراني» على تراجع أستاذه «النوري» عن هذه الدعوى.. وقوله «حسبما شافهناه وسمعنا من لسانه، فإنه كان يقول: أخطأت في تسمية الكتاب، وكان الأجدر أن يسمى ب [فصل في عدم تحريف الكتاب]لأني أثبت فيه أن كتاب الإسلام - القرآن الشريف - الموجود بين الدفتين، المنتشر في أقطار العالم، وحي إلهي، بجميع سوره وآياته وجمله، لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل ولا زيادة ولا نقصان من لدن جمعه حتى اليوم، ولقد وصل إلينا المجموع الأول بالتواتر القطعي».

وأضاف الطهراني - في شهادته على أستاذه -: «هذا ما سمعناه من قول شيخنا نفسه. أما عمله، فقد رأيناه وهو لا يقيم لما ورد في مضامين الأخبار وزنا، بل يراها آحادا لا تثبت بها القرآنية، بل يضرب بخصوصيتها عرض الجدار»

هكذا انهارت أهم حجة من حجج الزنادقة على حدوث التحريف في نص القرآن الكريم

ولقد عرض هذا الكتاب - أيضا - في معرض النقد والنقض للروايات التي جاءت في كتب الإخبار بين الشيعة عن تحريف القرآن - لما جاء في كتاب [الكافي]للكليني - وهو من أهم مراجع الشيعة في الأحاديث - فقال: «إن الشيعة

لا يعتقدون بصحة جميع مروياتهم، ولذا ذكروا أسانيد الأحاديث لكي ينظر المدقق ويتحقق من صحة الحديث أو ضعفه، هذا ينسحب على كتاب الكافي وغيره من كتب الشيعة.. ونحن لا نقول بصحة كل الروايات التي نقلها الكليني.. ففيه الضعيف والمرسل وما لا يوافق القرآن.. فليس الكافي كالبخاري ومسلم عند أهل السنة.. وإن أحاديث الكافي - التي بلغت ١٦١٩٩ حديثا - الصحيح منها ٥٠٧٢ حديثا - أي أقل من الثلث.. والحسن ١٤٤ حديثا، والموثق ١١٢٨ حديث، والقوي ٣٠٢ حديثا، والضعيف ٩٤٨٠ حديثا-» أي ثلثا أحاديث هذا الكتاب - الذي وردت فيه روايات عن تحريف القرآن الكريم..

وهكذا انهار العمود الثاني من الأعمدة التي اعتمد عليها الزنادقة في التشكيك بحفظ القرآن الكريم عن التحريف.

★★★

في كتاب [أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسُّنة]الذي ألفه الشيخ رسول جعفريان - وطبعته الحكومة الإيرانية - بطهران سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٨٥م.. والذي جاء فيه النقض والتفنيد للروايات التي جاءت بكتب التراث الشيعي، والتي زعم أصحابها ورود تحريف بالنص القرآني.. في هذا الكتاب - الذي نقدم بين يديه:-

١ - تفنيد لوجود ما سمي بمصحف علي - كرم الله وجهه - وأنه قد جمع هذا المصحف في ثلاثة أيام.. «فالقرآن كان قد كتب في عهد النبي ﷺ » وما جمعه علي في ثلاثه أيام هو جمع صحفه المكتوبة «وإلا فلا يمكن أن نقول إنه قد كتب القرآن في ثلاثة أيام».

٢ - وفي هذا الكتاب نص على أن الإمام علي - كرم الله وجهه - قد أيد جمع

عثمان بن عفان الأمة على هذا المصحف الموحد وقال:

«لو وليت لفعلت مثل الذي فعل».. وأنه قد أحرق مصحفه، معلنا اجتماع الأمة على المصحف الإمام - مصحف عثمان -.

٣ - أما ما يسمى بـ [مصحف فاطمة]فإن هذا الكتاب ينفي أن يكون مصحفا أو قرآنا.. وربما كان كتابا فيه بعض ما تعلمته فاطمة من أبيها ﷺ .. ونص ما جاء عن هذا «المصحف» - الذي لا وجود له!! - هو: «لقد ورد في روايات كثيرة ذكر مصحف فاطمة، وصرح في بعضها أن في هذا المصحف، علم ما يكون، وليس فيه ذكر حلال ولا حرام. كما صرحت روايات أخرى بأن فيه وصية فاطمة الزهراء عليها السلام وعلى هذا يمكن أن تكون فيه بعض المعارف التي تعلمتها من أبيها طيلة حياتها. وتصرح بعض الروايات أيضا بأن مصحف فاطمة ليس فيه قرآن، ولم يكن مصحفا قرآنيا»!!.. فهو - إذن - كتاب، لا علاقة له بالقرآن من قريب أو بعيد.. بل ولا علاقة له بالحلال والحرام!..

٤ - وفي هذا الكتاب شهادات علماء الشيعة، التي تنفي وقوع أي تحريف في القرآن الكريم، والتي تؤكد على الحفظ الإلهي لهذا القرآن..

● فالعلامة الطباطبائي يقول: «إنه ذكر حي خالد مصون من أن يموت وينسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل كونه ذكرا، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث تتغير به صفة كونه ذكرًا لله مبينًا لحقائق معارفه. فالآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ تدل على كون كتاب الله محفوظا من التحريف بجميع أقسامه.. فالقرآن محفوظ بعد إنزاله إلى الأبد»..

● والسيد الخوئي، يقول في تفسير نفس الآية: «إنها تدل على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه»..

●والفيض الكاشاني يقول: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان».

●والشيخ أبو علي الطبرسي، يقول في تفسير نفس هذه الآية: «﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير.

وعن الحسن: معناه: نتكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصرًا بعد عصر إلى يوم القيامة، لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ».

●والسيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي - المتوفي سنة ٤٣٦هـ يقول: «إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه. لقد كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ مجموعا مؤلفا على ما هو عليه في ذلك الزمان، حتى عين النبي على جماعة من الصحابة حفظهم له، وكان يعرض على النبي عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث.. ومن خالف في ذلك لا يعتد بخلافه، لأن المخالفين نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، ولا يرجع بمثلها على المعلوم المقطوع على صحته».

وهكذا توالت - في هذا الكتاب - شهادات أعلام الشيعة ومجتهديهم، التي تغلق الأبواب في وجه الزنادقة الذين يشككون في القرآن الكريم.

★★★

هكذا رأينا كيف كان القرآن الكريم الإعجاز الإلهي، الذي تحدى البشر - ولايزال يتحداهم - أن يأتوا بشيء من مثله.

وكيف وقف كل أساطين البلاغة والبيان والإبداع أمام هذا! النص القرآني المعجز، فخشعت ملكات الإبداع لديهم أمام هذا الوحي الإلهي، الذي لا طاقة لبشر أن يأتي له بمثال..

لقد استوى في ذلك جميع الخبراء.. والبلغاء.. والمبدعون.. حتى الغربيين منعتهم العصبيات الدنيوية من الإيمان برسالة القرآن الكريم - في التوحيد.. والنبوة.. والشريعة.. ومنظومة القيم والأخلاق.. واليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء.. فأقسموا: «والله ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن.. وأنه يعلو ولا يُعَلَى عليه»..

لقد استعلى القرآن الكريم - ولايزال - على تمرد المتمردين.. وعلى مقاصد المعادين من المستشرقين.. وعلى الذين أعماهم التعصب من أهل الفرق الذين ذهبوا يلفقون الروايات الكاذبة لتأييد التعصب والغلو والانحراف..

وكذلك استعلى القرآن الكريم على الزنادقة، الذين أرادوا ستر عجزهم الفاضح أمام الإعجاز القرآني بلملمة حتى الروايات التي عدل عنها رواتها، والآراء التي انتقدها أصحابها.. ولقد تكشفت عورات هؤلاء الزنادقة عندما رأيناهم يذهبون فيتبنون روايات الآحاد الواهية والساقطة والمجروحة - بل والموضوعة - ليعارضوا بها النص المعجز.. والمتواتر.. وقطعي الثبوت!..

ثم يتحدثون - مع ذلك كله - عن العلم.. والمنهج العلمي الذي يزعمون!!..

وصدق الله العظيم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]

إنه الإعجاز الخاتم.. والتحدي الخالد.. وحجة الله البالغة على الناس إلى يوم

الدين.. إنه القرآن الكريم.. ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

★★★

والآن.. وبعد هذا التقديم.. ندع القارئ مع صفحات هذا الكتاب الذي ألفه العالم الشيعي الإيراني: الشيخ رسول جعفريان.. والذي نشرت طبعته الأولى دولة الجمهورية الإسلامية الإيرانية - معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي - طهران سنة ١٤٠٦هـ سنة ١٩٨٥م..

★★★

أكذوبة تحريف القرآن

بين الشيعة والسنة

مقدمة الناشر

ليس (التحريف) وادعاؤه اليوم يشكل أية مشكلة في حياة المسلمين لا لشيء إلا لأنه لا قائل به بعد وضوح الأدلة على سلامة النص القرآني من أي باطل يورد عليه من بين يديه ولا من خلفه.

إذن فما الداعي لنشر أمثال هذه الكتب؟

إن الداعي بكل اختصار هو ما نراه أحيانا من تشكيك يطرح بشكل علمي في بعض الكتابات غير الناضجة والتي تعمل على التشكيك المغرض في أسمى نص قرآني لهدف شيطاني في النفس.

والأنكى من هذا ما نجده من محاولة نسبة القول بالتحريف إلى هذه الفئة دون تلك، وبالتالي العمل على عزلها عن المسيرة الإسلامية وإثارة الأفكار ضدها وتنفيذ بعض المآرب الشخصية من وراء ذلك.

أما الحقيقة فهي ما بدأنا بها مقدمتنا هذه من أنه ليس هناك مسلمٌ واعٍ موضوعيٌّ يؤمن بهذه الأكذوبة (أكذوبة التحريف) أو يرتب أي أثر عليها، وهذا ما يبدو لنا من استقراء أقوال العلماء واستدلالاتهم القوية على رد هذه الشبهة.

وهذا الكتاب يعد محاولة جيدة لتأكيد الحقيقة الآنفة بالإضافة إلى أنه يدفع الكثير من الشبهات التي حاولت إلصاق القول بالتحريف بمذهب أهل البيت (ع) وهو بريء من هذه التهمة تماما.

نعم يوجد في تاريخ كُلٍّ من الشيعة والسنة أناس غرّتهم بعض الظواهر وابتلوا ببعض الاستدلالات غير المنطقية فراحوا يشككون في المسألة. إلا أن ضعف

استدلالهم ومخالفتهم للضرورة الإسلامية القائمة طوت أفكارهم فلم يعد لها أي ذكر.

وبقي النص القرآني ناصعاً قوياً، قطعي السند، خالداً معبِّراً عن خلود الإسلام العظيم.

وفقنا الله تعالى للعمل به وتطبيقه على كل مناحي الحياة.

معاونية العلاقات الدولية

في

منظمة الإعلام الإسلامي

معنى التحريف:

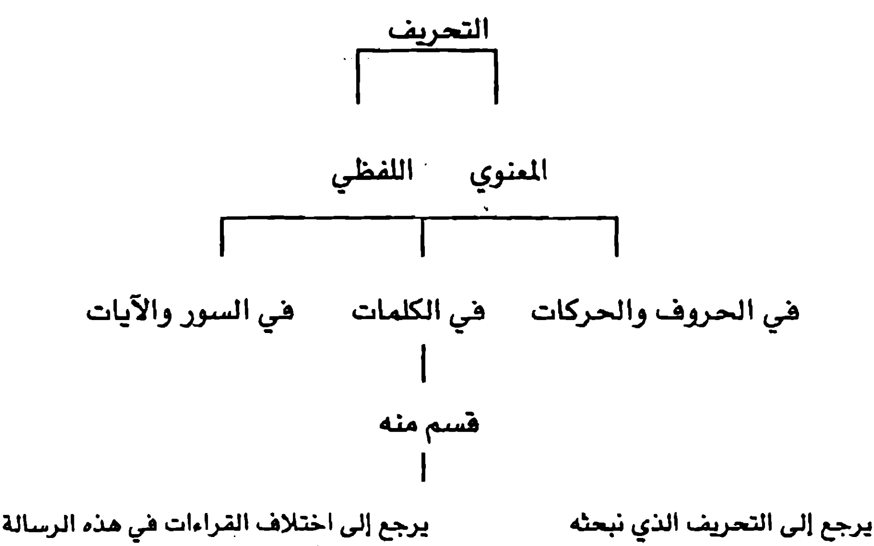
يقول الراغب: «وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين»[١].

فعلى هذا ليس لكلمة التحريف ظهور في التحريف اللفظي بمعنى تغيير العبارات وتبديلها بعبارات أخرى، بل كلام الراغب ظاهر في التحريف المعنوي وعلى ذلك جاء قول الله تعالى:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[٢].

فالآية تدل على أن اليهود مع حفظهم العبارات يغيرون مواضع الكلم ويحملون العبارات على معانٍ أخرى.

إلا أنه رغم ظهور كلمة التحريف، في التحريف المعنوي فقد استعملت أيضا في التحريف اللفظي. وعلى ذلك: انقسم التحريف إلى المعنوي واللفظي:



(١) مفردات ص (١١٢).

(٢) النساء: الآية (٤٦).

الأول: التحريف المعنوي: هذا النوع من التحريف، وقع في القرآن قطعا، ولعل بعض ما ورد في التفاسير كان يهدف إلى تأييد بعض المذاهب فتحمل فيه الآيات على غير معانيها الأصلية. وفي هذا النوع من التحريف يقول الإمام الباقر (ع):

«إنهم أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يرونه ولا يرعونه»[١].

الثاني: التحريف اللفظي: وذلك إمّا في الحروف والحركات وإمّا في الكلمات وإمّا في الآيات والسور.

أمّا التحريف في القسم الأول فقد وقع قطعا بدليل وجود الاختلاف في قراءة بعض الآيات. وبلوغ القراءات إلى السبع أو العشر يشهد بذلك. إننا نعتقد بأن اختلافهم لم يأتِ من الله عز وجل أو الرسول ﷺ، بل جاء من المسلمين نتيجة عدم وقوفهم الدقيق على القراءة التي علّمهم إيّاها الرسول ﷺ، وتفرقهم في البلاد كالعراق والشام مع وجود بعض اللهجات الخاصة في هذه البلاد مما يمهد الأرضية اللازمة لوقوع التحريف في الإعراب والحروف، كما يمكن أن تكون علة ذلك عدم وجود النقط والإعراب في المصحف في ذلك الزمان كقراءة «فتبينوا»، «فتثبتوا» وهذه الاختلافات في القراءة دوّنها أهل السنة في كتبهم التفسيرية وكتب القراءات، كما رواها الشيعة أيضا عن طريق أهل السنة، أو غيرهم.

يراجع في ذلك تفسير مجمع البيان الذي روى هذه الاختلافات عن طريق علماء أهل السنة.

أما التحريف في الكلمات فقد وقع في نوع خاص من هذا، وأكثر ما روي فيه من طريق أهل السنة. وما نروي بعد ذلك في امثلتنا للتحريف يعد شاهدا على ذلك.

ومنشؤه هنا إما بعض ما ذكرناه في التحريف في الحروف والحركات، وإما

(١) روضة الكافي ص (١٢٨) ط إسلامية، الوافي ج ٥ ص (٢٧٤).

اعتقاد بعضهم بجواز تبديل بعض الكلمات المشتركة في المعنى ووضعها بدلا من الأخرى كما أعلن الجواز في ذلك ابن مسعود [1].

لكن الذي يجب علينا ذكره هو أن هذا النوع لم يكن مهما، لأننا نطرح روايات الآحاد حول تحريف هذه الكلمات.

وأما وقوع التحريف في الكلمات بمعنى حذف بعض الأسماء أو العبارات بشكل يختلف معناه مع ما هو المتواتر (وهو القرآن الموجود بين الدفتين) فهو مما لم يقبله عامة المسلمين إلاّ القليل منهم.

وأما التحريف في الآيات والسور فقد جاءت روايات أكثرها من الطرق السنية وبعضها من الطرق الشيعية إلا أنها جميعا كانت موضع رفض من قبل المسلمين جميعا اللّهم إلاّ من بعض الأخباريين (شيعة وسنة) وسنبحث فيما يلي في مجمل الأمر بعونه تعالى.

دليل عدم التحريف من الكتاب:

استدل بعض المفسرين لإثبات عدم التحريف ببعض الآيات:

منها: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2].

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله: في الآية:

«.. فهو ذكر حي خالد مصون من أن يموت وينسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل به كونه ذكرا، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث تتغير به صفة كونه ذكر لله مبينا لحقائق معارفه، فالآية تدل على كون كتاب الله محفوظا من التحريف، بجميع أقسامه».

ويقول أيضا: «إن الآية بقرينة السياق إنما تدل على حفظ الذكر الذي هو القرآن بعد إنزاله إلى الأبد»[3]..

(١) غريب الحديث، ج ٢، ص : (٦٥).
(٢) سورة الحجر: الآية: (٩).
(٣) الميزان: ج ١٢، ص (١٠٣ - ١٠٤).

ويقول الزمخشري: حول الآية:

«... وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة.. قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية، لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق إلى كل كلام سواه...»[١].

ويقول السيد الخوئي:

«... فإن في هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف، وإن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه»[٢].

ويقول الفخر الرازي حول الآية:

«... وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان»[٣].

ويقول الفيض الكاشاني:

«﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان»[٤].

• والشيخ أبو علي الطبرسي، يقول في تفسير نفس هذه الآية: «﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن الزيادة والنقصان والتحريف والتغيير.

وعن الحسن: معناه: متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصرًا بعد عصر إلى يوم القيامة، لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ»[٥].

---

(١) الكشاف ج ٣ ص(٥٧٢).
(٢) البيان ص (٢٢٦).
(٣) التفسير الكبير: ج ١٩، ص: (١٦٠ - ١٦١).
(٤) تفسير الصافي، ج ١، ص :(٨٩٨) ط إسلامية.
(٥) مجمع البيان ج ٥، ٦، ص (٣٣١)، ويقول قتادة حول الآية: «فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقاً» الدر المنثور ج ٤، ص (٩٤).

إشكالات على هذا الاستدلال وأجوبتها:

ألف: يمكن أن يقال: إننا لا ننكر أن الآية في صدد بيان حفظ القرآن من الزيادة والنقصان ولكن يصدق هذا المفهوم على حفظ القرآن في الجملة عند بعض الأفراد.

إلا أننا نقول:

إن هذا لا يصح، لأن هدف إنزال القرآن من قبل الله هو إيصال الإنسان إلى غايته وهدايته الصراط المستقيم وهذه الهداية لا تختص بإنسان دون آخر حتى يحفظ القرآن عند بعضهم فقط، فعلى ذلك يقتضي هدف الإنزال، حفظ القرآن عند الناس عامة.

إذ ما الفائدة في حفظه عند شخص؟ وهل الغرض حفظه فقط دون إفادته للناس؟؟ إن كان هذا. فحفظه في اللوح المحفوظ يكفي: أما إذا كان بقصد الهداية فلا معنى لتصور حفظه عند بعض الأفراد.

يقول السيد الخوئي ردا على هذا الإشكال:

«... إنما المراد بالذكر هو المحكي بهذا القرآن الملفوظ أو المكتوب وهو المنزل على رسول الله ﷺ والمراد بحفظه صيانته من التلاعب والضياع، فيمكن للبشر عامة أن يصلوا إليه وهو نظير قولنا (القصيدة الفلانية محفوظة) فإنا نريد من حفظها صيانتها وعدم ضياعها بحيث يمكن الحصول عليها»[١].

باء -وإن قيل: إن الاستدلال يمكن نقضه بوقوع التحريف في القرآن في أخطاء غير عمدية - فيما انتشر من القرآن في البلاد الإسلامية - بحذف كلمة أو آية دون قصد وعمد، فإذا كان الحفظ يعني حفظه من كل تحريف وتغيير فما هذه التحريفات غير العمدية؟؟

---

(١) البيان في تفسير القرآن، ص :(٢٢٧ - ٢٢٨).

فهنا نقول:

إن هذه التحريفات لا تضر بمسألة حفظ القرآن من قبل الله لأنها لا تصل حد تغيير القرآن بحيث لا يتبين أصله، ذلك أن انتشار القرآن بالشكل الصحيح المحقق سوف يوضح الموقف دونما غبش.

جيم - يمكن أن يقال: إن التمسك بالقرآن لإثبات عدم تحريفه غير صحيح، لإمكان وقوع التحريف في نفس الآية التي استدل بها على عدم التحريف فالآية الشريفة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يمكن أن تكون محرفة وإذا كانت كذلك فالاستدلال بها لا يصح.

فنقول: إن هناك إجماعا على عدم تحريف هذه الآية وغيرها مما لم يدّع التحريف فيه.

ومنها: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [(١)].

إن الآية الشريفة تدل على عدم ورود الباطل في الكتاب، وعدم إمكان تبديل الآيات بما هي غير آيات، فالتحريف من أتم وأكمل مصاديق الباطل فإذا انتفى إمكان ورود الباطل فيه انتفى إمكان ورود التحريف في الآية.

يقول العلامة الطباطبائي: «معنى إتيان الباطل وروده فيه وصيرورة بعض أجزائه أو جميعها باطلا بأن يصير ما فيه من المعارف الحقة أو بعضها غير حقة، أو ما فيه من الأحكام والشرائع وما يلحقها من الأخلاق أو بعضها لغىً لا ينبغي العمل به»[(٢)].

فالآية تنكر ورود ذلك في الكتاب.

---

(١) سورة فصلت: (٤١ - ٤٢).

(٢) الميزان: ج ١٧، ص (٤٢٤).

أدلة عدم التحريف في الروايات:

ألف: وردت من طرق السنة والشيعة عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار روايات كثيرة تحض على عرض الخبر على الكتاب وتدعو لقبول الروايات الموافقة له وردّ ما كانت مخالفة له.

منها ما جاء عن النبي ﷺ بقوله:

«تكثر لكم الأحاديث بعدي، فإذا روي لكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالف فردّوه».

وقوله أيضا:

«إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا. فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه».

وعن الصادق (ع):

«كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(١).

فإذا كان القرآن هو المعيار لصحة الأخبار (ومنها الأخبار التي ظاهرها التحريف) وجب أن يكون سالما من التحريف والتغيير.

وهنا طريقان في الاستدلال:

١ - أن القرآن مقدم على الأخبار وهو الميزان في تصحيحها وهذا يدل على سلامة القرآن وعدم تحريفه وإلا كان أمرهم بعرض الخبر على الكتاب مع تحريفه غير معقول.

---

(١) راجع في الموارد الثلاثة: أصول الحنفية ص (٤٣) نقلا عن الصحيح من سيرة النبي ﷺ ج ١ ص (٣٠)، ووسائل الشيعة ج ١٨ ص (٧٨) عن الكافي والمحاسن والأمالي وكذا ص (٧٩)، ومصنف عبد الرزاق ج ١١ ص (١٥٦) وج ١٠ ص (٣١٣) وج٦ ص (١١٢)، وتهذيب تاريخ دمشق ج ١٥ ص (١٣٤)، وتفسير البرهان ج ١ ص (٢٨)، والبيان والتبيين ج ٢ ص (٢٨).

٢ - أن الذين استدلوا ببعض الروايات على التحريف يعد استدلالهم هذا مخالفا للعمل بهذه الروايات، لأن بعض الآيات يدل صراحة على عدم التحريف، فإذا وجدت رواية ظاهرها التحريف وجب طرحها. كما أمر بهذا النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

ولذا يقول الفيض الكاشاني رحمه الله:

«وقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله لتعلم صحته بموافقته له، أو فساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفا فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله»[1].

أما الإشكال الذي يمكن أن يورد على ذلك من إمكان وقوع الحذف والتحريف في قسم من القرآن الذي لا يخل بالمعنى ولا يؤثر في العقائد والأحكام (فهو وإن أمكن دفعه بعد الدقة في توضيحنا لدلالة الرواية) إلا أنه لاداعي للمنحرفين والمنافقين في تحريف هذا القسم من الآيات والقرآن، كما أن الدواعي متوفرة من ناحية العلماء والمسلمين لحفظ القرآن حتى في واوه. كما سترى.

باء: ومن الروايات التي تدل على سلامة القرآن من التحريف رواية الثقلين المتوافرة بين فرق المسلمين. وإليك هذه الرواية بطريق واحد. عن النبي ﷺ.

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وفيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به (فحث عليه ورغب فيه)، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات»[2].

فمعنى التمسك بالقرآن كما تذكر الرواية أخذ الهداية والنور منه كما يقول

---

(١) تفسير الصافي: ج ١ ص (٥١).

(٢) سنن الدارمي: ج ٢ ص (٤٣١، ٤٣٢) وراجع مصادرها الكثيرة في كتاب (الغدير) للعلامة الأميني في باب «حديث الثقلين».

أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«.. وعليك بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والرِّيُّ الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا يخلقه كثرة الرّد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمله به سبق».

ويقول أيضا:

«واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في الهدى أو نقصان في العمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوه على لأوائكم فإنه فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال».

ويقول أيضا:

«إن القرآن ظاهره عنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به»[1].

وأيضا يقول:

«القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم فيكم» [2].

فالإمام عليه السلام يصرّح بأن المتمسك بهذا القرآن والعامل به يُهدى إلى صراط مستقيم. وكما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما إن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله»[3].

(١) ربيع الأبرار: ج ٢ ص (٨٠).
(٢) روض الأخيار: ج ١ ص (٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ج ١٠، ص (٥٠٥)، وفي هامشة عن سنن ابن ماجه، ص (٢٢٨).

جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وعدم التحريف

• أدلة جمع القرآن في عهد النبي ﷺ

إننا لا نشك في أن القرآن قد جمع كله في عهد النبي ﷺ، وكتب بأمره في ظهر بعض الأشياء. وعلى هذا فلا يمكن قبول القول بأن جمع القرآن قد كان بعده ﷺ إلا إذا كان المراد استنساخ نسخة مما جمع في عهد النبي ﷺ.

وإليك بعض الأدلة على ذلك:

ألف: توجد هنا روايات نقلها أهل السنة حول جمع بعض الصحابة للقرآن على عهد النبي ﷺ:

* عن قتادة قال سألت أنس بن مالك: «من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ قال: أربعة كلهم من الأنصار أُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ونحن ورثناه»[١]. فإذا كان الجمع بمعنى الحفظ فانحصاره في أربعة في غير محله لأنهم رووا أيضا أن مسلمين آخرين حفظوا القرآن كله.

* عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع»[٢].

* أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن ثابت وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري»[٣].

* وأخرج البيهقي وابن أبي داود عن الشعبي قال: «جمع القرآن في عهد

---

(١) صحيح البخاري: ج ٦ ص (٢٣٠)، و(الطبقات الكبرى) ج ٢ ص (٣٥٥ و ٣٥٦) وقال بأنهم خمسة، و(بحوث حول علوم القرآن) ص (٢١٥)، و(البرهان في علوم القرآن) ج ١ ص (٢٤١)، و(تفسير ابن كثير) ج ١ قسم فضائل القرآن ص (٢٨).

(٢) (المستدرك) للحاكم، و(البرهان) ج ١ ص (٢٣٧) عنه، و(الإتقان) ج ١، و(المصنف) لابن أبي شيبة ١٢ ص (١٩١).

(٣) الإتقان: ج١ ص (٧٢).

النبي ﷺ ستة، أبيّ، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد، وأبو زيد»[١]

وهذه الرواية مشهورة عن الشعبيّ ولكن بعض الرواة غيروا عبارة الشعبي بأن قراء القرآن في عهد النبي ﷺ كانوا ستة [٢] ولكن من الواضح أن أصحاب النبي ﷺ كان الكثير منهم قراءً للقرآن وذكر ستة يعني ظاهرا أنهم جمعوا القرآن.

* ويدل على المطلوب ما قيل حول جمع علي (ع) للقرآن في ثلاثة أيام بعد النبي ﷺ وسنذكر مصادره فهذا يدل على أن القرآن كان قد كتب في عهد النبي ﷺ بتمامه وعلي (ع) جمعه في مصحف في ثلاثة أيام وإلا فلا يمكن أن نقول إنه عليه السلام قد كتب القرآن في ثلاثة أيام أو حفظه كما قال البعض [٣].

* عن علي بن إبراهيم «... أن النبي ﷺ أمر بجمع القرآن الذي كان في صحف وحرير وقرطاس في بيته لا يضيع كما ضيع التوراة والإنجيل» [٤].

* عن ابن النديم قال: «إن الجُمَّاع للقرآن على عهد النبي ﷺ: علي بن أبي طالب (ع) وسعد بن عبيد، وأبو الدرداء، وعويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأبيّ بن كعب، وعبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت» [٥].

* عن ابن سعد عن الكوفيين في ترجمة مجمع بن حارثة أنه جمع القرآن على عهد النبي ﷺ إلا سورة أو سورتين. وقال ابن إسحاق: كان مجمع غلاما حدثا قد جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ [٦].

---

(١) (الطبقات الكبرى) ج ٢ ص (٣٥٥و ٣٥٦)، و(الإتقان) ج١ ص (٧٢)، و(بحوث حول علوم القرآن) ص (٢١٤)، و(نور القبس) ص (٢٤٥) وراجع ص (١٠٥)، و(البرهان) ج ١ ص (٢٤١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ج ١٠ ص (٥٠٠).

(٣) تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين: ص (٧١).

(٤) المصاحف للسجستاني: ص (١٠)، وعمدة القاري ج ٢٠ ص (١٦).

(٥) الفهرست ص (٣٠).

(٦) التراتيب الإدارية: ج ١ ص (٤٦) عن الطبقات ج ١ ص (٣٤).

* عن ابن حبان: أن أبيّ جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأمر الله صفيه صلوات الله عليه أن يقرأ على أُبيٍّ القرآن [١] .

فنفهم من انحصار جمع القرآن في أربعة أو أكثر حتى ستة أنه جمع القرآن في المصحف وإلاّ فقد كان القراء والحفاظ للقرآن كثيرين. فثبت من ذلك أن القرآن جمع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. كما أن الزركشي يصرح بأسامي سبعة من الذين عرضوا القرآن كله على رسول الله ﷺ [٢].

باء: وتدل أيضا على جمع القرآن في عهد النبي أقوال بعض العلماء في ذلك:

* قال الحارث المحاسبي: «كتابة القرآن ليست بمحدثة، فأنه صلى الله عليه (وآله) وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فأمر الصديق بنسخه من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة الأوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شيء»[٣] .

* وقال أبو شامة: «وكان غرضهم (أبي بكر وغيره) الا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ» [٤] .

* قال الزركشي: «أما أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل فبغير شك جمعوا القرآن والدلائل عليها متظافرة» [٥] .

* قال الزرقاني: «... وكان رسول الله ﷺ يدلهم على موضع المكتوب من سورته فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم

(١) كتاب مشاهير علماء الأمصار ص (١٢).
(٢) البرهان في علوم القرآن: ج ١ ٢ (٢٤٣).
(٣) الإتقان: ج ١ ص (٥٨) عن كتاب فهم السنن.
(٤) الإتقان ج ١ ص (٥٨).
(٥) البرهان في علوم القرآن.

وعظام الأكتاف والأضلاع ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ وهكذا انقضى العهد النبوي والقرآن مجموع على هذا النمط»[(١)].

• وقال الدكتور عبد الصبور شاهين: «إن القرآن ثبت تسجيلا ومشافهة في عهد رسول الله»[(٢)].

• وقال الشيخ محمد الغزالي: «فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى كان القرآن كله محفوظا في الصدور وكان كذلك مثبتا في السطور»[(٣)].

• وقال الباقلاني: «وما على جديد الأرض أجهل ممن يظن بالنبي ﷺ أنه أهمل القرآن أو ضيعه مع أنه له كتابا أفاضل معروفين بالانتصاب لذلك من المهاجرين والأنصار»[(٤)].

ونحن نقول أيضا ما قال الباقلاني فهل على ظهر الأرض أجهل ممن يقول بأن النبي ﷺ لم يهتم بجمع القرآن، مع أن الرواة ذكروا أسامي أربعين من الصحابة الذين يكتبون القرآن، وجعل النبي ﷺ بعضهم لذلك[(٥)].

فمع أمر النبي ﷺ بكتابة الوحي وتأكيده على أن «قيدوا العلم بالكتابة»[(٦)] ومع قوله لعبد الله بن عمرو بن العاص بكتابة العلم[(٧)] وقوله لرجل آخر حول حفظ العلم بالاستعانة باليمين[(٨)] هل يمكن إهمال كتابة القرآن بتمامه وعدم جمع القرآن؟

فمع الظروف التي في الجزيرة والتي تشير إلى إمكان ضياع القرآن، ومع تأكيد الكتاب على أن اليهود والنصارى حرفوا الكتاب ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص (٢٤٠). (٢) تاريخ القرآن: ص (٥٧).
(٣) نظرات في القرآن: ص (٣٥). (٤) الانتصار: ص (٩٩).
(٥) (تاريخ القرآن) دكتر راميار ص (٩٦)، و(مكاتيب الرسول) ج ١، و(صبح الأعشى) ج ١ ص (٩٢)، و(تاريخ القرآن) للدكتور شاهين ص (٥٤).
(٦) (التراتيب الإدارية) ج ٢ ص (٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٤٨)، و(أخبار أصبهان) ج ٢ ص (٢٢٨).
(٧) نفس المصدر ص (٢٤٨).
(٨) تقييد العلم، ص :(٣٣).

بِأَيْدِيهِمْ..﴾ [1] هل يمكن فرض إهمال النبي ﷺ لكتابة القرآن حتى يضطر زيد بن ثابت إلى جمعه من صدور الرجال.

ومع وجود روايات مثل:

«أن الوحي إذا نزل على النبي ﷺ أمر أحد الكتاب كزيد أو غيره أن يكتب ذلك الوحي» [2].

أو مثل رواية وردت عن عثمان بن أبي العاص يقول فيها: «كنت جالسا عند رسول الله إذ شخص ببصره ثم صوّبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة» [3].

ومع رواية عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من كتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا» [4].

ومع رواية «عرض القرآن من قبل النبي ﷺ على جبرئيل سيما في العام الأخير الذي عرض على جبرئيل مرتين» [5].

مع كل هذه الروايات هل يمكن فرض إهمال النبي لجمع القرآن؟ وهل هذا إلا قدح في النبي ﷺ وإظهار عدم اهتمامه بحفظ الكتاب؟ فبعد ثبوت أن القرآن جمع كله في عهد النبي ﷺ وثبوت أن جمع أبي بكر وغيره للقرآن بمعنى استنساخ ما هو مكتوب من قبل، ينهدم أكثر ما أورده البعض في إثبات التحريف.

(١) سورة البقرة: (٧٩).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: ص (٢٤١).

(٣) (الإتقان): ج١ ص (١٠٤) وراجع البخاري كتاب التفسير الباب١٨ و(كتاب الأحكام) الباب ٧ و(مسند أحمد) ج ٣ ص (١٢٠) وج ٤ ص (٣٨١).

(٤) مناهل العرفان ج ١ص (٢٤٠).

(٥) إرشاد الساري ج ٧ ص (٤٤٩)، وتفسير ابن كثير قسم فضائل القرآن ج ٤ ص (٢٦).

لأنهم يقولون بتواتر القرآن بعد جمعه فإذا كان جمعه في عهد النبي ﷺ ثبت تواتره منذ زمن حياة الرسول ﷺ وتصور التحريف بعد ذلك غير معقول.

الدليل من التاريخ:

إن الشواهد في التاريخ تدل على عدم تحريف القرآن عمدا من أحد الصحابة.

فمن ذلك ما قاله عمر: «لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي» (١).

فإنك ترى أن عمر لم يجرؤ أن يضيف إلى القرآن قصة الرجم لخوفه من الناس فكيف يمكن أن يجرؤ على حذف آيات وسور من القرآن؟!!

وأيضا: أن عثمان أصر على حذف الواو من آية الكنز ولكن الصحابة اعترضوا عليه.

عن علباء بن أحمد أن عثمان بن عفان لما أراد أن يكتب المصاحف أراد أن يلقوا الواو في براءة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ فقال أبي: لتلحقنّها أو لأضعنّ سيفي على عاتقي، فألحقوها (٢).

واتفق مثل هذا بالنسبة للخليفة الثاني في سورة التوبة.

أخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن حبيب الشهيد عن عمرو بن عامر الأنصاري أن عمر بن الخطاب قرأ:

---

(١) سنذكر مصادر آية الرجم في المباحث الآتية.

(٢) (الدر المنثور) ج ٣ ص (٢٣٢) وقال أخرجه ابن الضريس، و(الميزان) ج ٩ ص (٢٥٦) عنه، و (دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي) ج ١ ص (٩٤) عنه.

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ (و[١])الَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ .

فرفع الأنصار ولم يلحق الواو بالذين، فقال له زيد بن ثابت (والذين) فقال عمر (الذين) فقال زيد، أمير المؤمنين أعلم!!!! فقال عمر رضي الله عنه ائتوني بأبيّ بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال أبيّ والذين....».

وأخرج أبو الشيخ عن أبي أسامة ،ومحمد بن إبراهيم التيمي، قالا: «مر عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، فوقف عمر فلما انصرف الرجل قال: من أقرأك هذه، قال أقرأنيها أبيّ بن كعب قال: فانطلق إليه، فانطلقا إليه فقال يا أبا المنذر، أخبرني هذا أنك أقرأته هذه الآية: صدق تلقيتها من فيِّ رسول الله ﷺ قال عمر: أنت تلقيتها من فيّ رسول الله قال، فقال في الثالثة وهو غضبان!!! نعم، والله لقد أنزلها الله على جبرئيل (ع) ولم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه!! فخرج عمر رافعا يديه الله أكبر الله أكبر»[١].

التحريف بين السنة والشيعة

إن الهدف من دراستنا لقصة التحريف هو الإجابة عن شبهة بعض الأخباريين في ذكرهم بعض الأخبار التي ظاهرها التحريف والجواب عمن نسب القول بالتحريف إلى الشيعة لاعتقاد قليل منهم بهذا القول في تمسكهم بالأخبار دون دقة في إسنادها ومتونها ولهذا نجد أن ما في كتب أهل السنة أكثر مما في كتب الشيعة حول النقص في القرآن!! أو رفع تلاوته، أو حول حذف بعضهم البسملة من القرآن و... إلخ.

وبعد ذلك نجيب عما رواه السنة والشيعة في كتبهم سندا ودلالة كما أن بحثنا

(١) لم يقرأ الواو .

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص (٢٦٩). وروايات هذا الباب كثيرة من طرق مختلفة.

السابق حول إثبات عدم التحريف من الكتاب والسنة يلزمنا بطرح هذه الروايات منذ البداية.

أهل السنة ورواياتهم حول التحريف

اختلاف مصاحف الأصحاب

١ - حدثنا عبد الله حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا أبان بن عمران قال: قلت لعبد الرحمن بن أسود إنك تقرأ: «صراط من أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم وغير الضالين» [١].

حدثنا عبد الله... عن الأسود وعلقمة أنهما صليا خلف عمر فقرأ بهذا.

وكذا عن علقمة وأسود قالا سمعنا عمر بن الخطاب يقرأ: «صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين» [٢].

وخمس روايات أخرى من طرق مختلفة تقول بأن عمر قرأ بمثل ذلك[٣].

٢ - وكذا نقل عن عمر أنه قرأ «ألم الله لا إله إلا هو الحي القَيّام» من سبعة طرق[٤].

٣ - حدثنا عبد الله، حدثنا أبو الطاهر، حدثنا سفيان بن عمرو وسمع ابن الزبير يقرأ «في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر» قال عمر فأخبرني لقيط أنه سمع ابن الزبير يذكر أنه سمع عمر بن الخطاب يقرأها كذلك [٥].

---

(١) المصاحف: ص (٥٠) .

(٢) نفس المصدر ص (٥١).

(٣) نفس المصدر ص (٥١).

(٤) نفس المصدر ص (٥١) و (٥٢).

(٥) المصاحف ص (٥٢).

٤ - حدثنا عبد الله.. عن سعيد بن جبير «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى» وقال في هذه قراءة أبيّ بن كعب [١].

٥ - عن حماد قال: قرأت في مصحف أبيّ «للذين يُقْسِمُونَ» [٢].

٦ - وكذا عن حماد قال: وجدت في مصحف أبيّ «فلا جناح عليه إلاّ يَطوَّف بهما» [٣].

٧ - عن الربيع قال: كانت في قراءة أبيّ بن كعب «فصيام ثلاثة متتابعات في كفارة اليمين» [٤].

٨ - ... عن يسير بن عمرو عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ «أنّ الله لا يظلم مثقال نملة» [٥].

٩ - ... عن النزال عن ابن مسعود أنه كان يقرأ «واركعي واسجدي في الساجدين» [٦].

١٠ - عن عطاء قال: هي في قراءة ابن مسعود (في مواسم الحج) [٧].

١١ - عن الحكم قال: في قراءة ابن مسعود«بل يداه بسطان» [٨].

١٢ - عن سفيان قال: قراءة ابن مسعود «وتزودوا وخير الزاد التقوى» [٩].

١٣ -... عن هارون في قراءة ابن مسعود «من بقلها وقثائها وثومها وعدسها

---

(١) المصاحف ص (٥٣) ومصادرها فوق حد الإحصاء راجع: (الزواج الموقت) للسيد جعفر مرتضى.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤)، (٥)، (٦) المصاحف، ص (٥٣)، (٥٤)، (٥٥).

(٧) نفس المصدر ص (٥٤) و(٥٥).

(٨) نفس المصدر.

(٩) نفس المصدر.

وبصلها» [١]قال هارون وكان ابن عباس يأخذ بها.

١٤ - ... عن ميمون بن مهران وتلا هذه السورة.

«والعصر * إن الإنسان لفي خسر * وأنه فيه إلى آخر الدهر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر» ذكر أنها في قراءة ابن مسعود[٢].

١٥ - عن سفيان كان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها «أولئك لهم نصيب ما اكتسبوا» [٣].

١٦ - وكذا في موضع آخر: «ولكل جعلنا قبلة يرضونها» [٤].

١٧ - وأيضا: «وأقيموا الحج والعمرة للبيت» [٥].

١٨ - وكذا «وحيث ما كنتم فوَلُّوا وجوهكم قبله».

١٩ - «ولا تخافت بصوتك ولا تطال به».

٢٠ - «كذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى» بغير واو [٦].

٢١ - وكذا « وزلزلوا فزلزلوا يقول حقيقة الرسول والذين آمنوا» [٧].

ومن هنا يشرع المصنف في قراءة ابن مسعود في السور مرتبا من صفحة ٥٧ إلى ٧٣ ويختلف عن غيره. كما ينقل ابن أبي داود - غير ما ذكرنا من موارد - أكثر من ثلاثين ومائة مورد.

---

(١) المصاحف ص (٥٤) و(٥٥) من طريق آخر.

(٢) نفس المصدر ص (٥٥).

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) كل هذا في المصاحف ص (٥٦).

(٧) المصاحف، ص (٥٧).

وبعد ذلك ذكر موارد اختلاف مصحف ابن عباس مع غيره. منها:

١ - أنه قرأ: «فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما» وذكر ذلك من سبعة طرق[١].

٢ - أنه قرأ: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج» من عدة طرق [٢].

٣ - أنه كان يقرأ: «إنما ذلكم الشيطان يخوّفكم أولياءه».

٤ - كذا عنه: «أولئك لهم نصيب مما اكتسبوا» قال أبو يعلم هكذا قرأ الأعمش [٣].

٥ - وكذا يقرأ: «وأقيموا الحج والعمرة للبيت».

٦ - وكذا يقرأ: «وشاورهم في بعض الأمر».

٧ - وكذا يقرأ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي محدث».

٨ - وكذا يقرأ: «يا حسرة العباد».

٩ - وكذا يقرأ: «كأنك خفيٌّ بها».

١٠ - وكذا يقرأ: «وإن عزموا السَّراح» [٤].

وكذا في تسعة موارد أخرى [٥].

مصحف ابن الزبير

١ - ابن الزبير يقرأ: «لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم

---

(١) نفس المصدر، ص (٧٣).

(٢) نفس المصدر، ص (٧٤).

(٣) نفس المصدر، ص (٧٤) و(٧٥).

(٤) كل ذلك في نفس المصدر، ص (٧٥).

(٥) نفس المصدر، ص (٧٦) و(٧٧).

الحج»(١).

٢ - عن عمرو قال سمعت ابن الزبير يقول: «أن صبيانا ها هنا يقرؤون (سورة ٢١ آية ٢٩٥: «وحرم» وإنما هي «حرام» ويقرؤون (س ٦ آية ١٠٥) «دارست» وإنما هي «درست» ويقرؤون (س ٨٨ آية ٤ و س ١٠١ آية ١١) «حمئة» وإنما هي «حامية» (٢).

٣ - عن ابن الزبير أنه يقرأ: «في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر»(٣).

٤ - وأنه يقرأ: «فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين»(٤).

٥ - وأنه يقرأ: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير... ويستعينون بالله على ما أصابهم» (٥).

مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص

حدثنا عبد الله، حدثنا محمد حاكم، حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا أبو بكر بن عياش قال: «قدم علينا شعيب بن شعيب بن محمد بن عمرو بن العاص فكان الذي بيني وبينه فقال: يا أبا بكر الا أخرج لك مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص: فأخرج حروفا تخالف حروفنا فقال: وأخرج راية سوداء من ثوب خشن فيه زران وعروة فقال: هذه راية رسول الله ﷺ التي كانت مع عمرو قال أبو بكر وزاد أي في هذا الحديث عن محمد بن العلاء عن أبي بكر قال: مصحف جده الذي كتبه هو وما هو في قراءة عبد الله ولا في قراءة أصحابنا، قال أبو بكر بن

(١) المصاحف: ص (٨٢).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) المصاحف: ص (٨٢).

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) نفس المصدر، ص (٨٣).

عياش قرأ قوم من أصحاب النبي ﷺ القرآن فذهبوا ولم أسمع قراءتهم»[(١)].

مصحف عائشة

١ - عن عروة قال: كان مكتوبا في مصحف عائشة: «حافظوا على الصلوات والصلواة الوسطى وصلاة العصر»[(٢)].

٢ - ... أخبرني ابن أبي حميد قال: أخبرني حميدة قال: أوصيت لنا عائشة بمتاعها فكان في مصحفها «إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ والذين يصلون في الصفوف الأول».

قالت: «قبل أن يغير عثمان المصاحف»[(٣)].

مصحف حفصة

١ - عن سالم بن عبد الله أن حفصة أمرت إنسانا أن يكتب لها مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية (س ٢ آية ٢٣٨) فاكتب «حافظوا على الصلوات والصلاةالوسطى وصلاة العصر»[(٤)]. من عدة طرق.

مصحف أم سلمة

عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة قالت له اكتب مصحفا فإذا بلغت هذه الآية فأخبرني... فقالت اكتب «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر»[(٥)].

---

(١) المصاحف: ص (٨٣).

(٢) المصاحف ص (٨٣) و (٨٥).

(٣) نفس المصدر، ص (٨٥)، والإتقان، ج ٢ ص (٢٥)، والدر المنثور، ج ٥ ص (٣٢٠).

(٤) المصاحف: ص (٨٥) و(٨٧).

(٥) المصاحف: ص (٨٧) و (٨٨).

اختلاف مصاحف التابعين

١ - سمعت عبيد بن عمير يقول: «أول ما نزل من القرآن: «سبح اسم ربك الذي خلقك».

٢ - عن عطاء أنه قرأ: «يخوّفكم أولياءه» (١).

٣ - عن عكرمة كان يقرأ: «وعلى الذين يطوفونه».

٤ - عن مجاهد كان يقرأ: «فلا جناح أن يُطَّوفَ بهما».

٥ - عن سعيد بن جبير كان يقرأ: «أحلَّ لكم الطيبات وطعام الذين أُتوا الكتاب من قبلكم» (٢).

٦ - وعنه أيضا يقرأ: «فإذا هي تلقم ما يأفكون» (٣).

٧ - عن علقمة وأسود يقرآن: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» (٤).

٨ - عن محمد بن أبي موسى: «ولكن الذين كفرون يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يفقهون» (٥).

٩ - كان حطان بن عبد الله يحلف عليها «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله رسل».

١٠ - قرأ صالح بن كيسان: «وجاءهم البينات» و«جاءتهم البينات» وقال «يكاد» و«تكاد السموات».

---

(١) كل الموردين في المصاحف: ص (٨٨).

(٢) كل الموارد في المصاحف: ص (٨٩).

(٣) المصاحف: ص (٩٠).

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

١١ - سمعت الأعمش: «الله لا إله إلا هو الحي القيّام» [١].

١٢ - وأيضا عنه يقرأ: «أنعام وحرث حرج» [٢] في القرآن «حجر».

التحريف في الصحاح وغيرها

يوجد في كتب الصحاح وغيرها روايات كثيرة تدل على التحريف. وهذه الروايات على فرض صحتها لابد معها من القول بالتحريف ونحن نذكر قسما من هذه الروايات.

١ - حدثنا قبصة بن عقبة... عن إبراهيم بن علقمة قال: «دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال: فأيكم؟ فأشاروا إليّ، فقال: إقرأ، فقرأت:

«والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى»

قال: أنت سمعتها من فيّ صاحبك قلت نعم، قال: وأنا سمعتها من فيّ النبي ﷺ وهؤلاء يأبون علينا» [٣].

٢ - حدثني الأعلى... عن أنس بن مالك أن رعلا وذكوان وعصية وبني كيان استمدوا رسول الله على عدوهم فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ ذلك فقنت شهرا يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني كيان. قال أنس: فقرأنا فيهم

(١) كل الموارد في: المصاحف ص (٩١).

(٢) المصاحف ص (٩٢).

(٣) البخاري: بهامش السندي ج ٣ ص (١٣٩) وغير هذا ج ٦ ص (٢١١) و ج ٥ ص (٣٥). وجامع الأصول ج ٣ ص (٤٩)، ومسند احمد ج ٦ ص (٤٤٩) و (٤٥١)،والدر المنثور ج ٦ ص (٣٥٨)، عن سعيد بن منصور وأحمد عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن علقمة وغيرهم.

قرآنا ثم إن ذلك رفع.... «بلغوا عنا قومنا أنّا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا»[(١)].

٣- عن عمر: «لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي» [(٢)]. وهذا يعني أن عمر قائل بالتحريف والنقص لأن آية الرجم ليست في القرآن وهو لم يقل بنسخ التلاوة لأنه يريد أن يكتبها ولكن يخاف من قول الناس ولذا نقل السيوطي عن صاحب البرهان للزركشي أنه قال: «ظاهره أن كتابتها جائزة وإنما منعه قول الناس والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب» [(٣)].

٤ - نقل عن ابن مسعود أنه حذف المعوذتين من مصحفه وقال إنهما ليستا من كتاب الله [(٤)].

---

(١) (البخاري): بهامش السندي ج ٣ ص (١٩)، و(الإتقان) ج ٢ ص (٢٦) عن الصحيحين، و«مسند أبي عوانة) ج ٢ ص (٣١١ و ٣١٢)، و(حياة الصحابة) ج ١ ص (٥٤٥) و(الثقات) لابن حبان ج ١ ص (٢٣٩)، و(الطبقات الكبرى) ج ٢ ص (٥٤).

(٢) (البخاري): باب الشهادة عند الحاكم في ولاية القضاء، و(الإتقان) ج ٢ ص (٢٥و٢٦) عن طرق كثيرة، وكذا (الدر المنثور) ج ٥ ص (١٧٩) عن مالك والبخاري ومسلم وابن الضريس وفي ص (١٨٠) عن النسائي واحمد وابن عوف وغيرهم، و(نيل الأوطار) كتاب الحدود آية الرجم، وكذا (تفسير ابن كثير) ج٣ ص (٢٦١)، و(البرهان في علوم القرآن) ج ٢ ص (٢٥)، و(مسند أحمد) ج ١ ص (٢٣و ٢٩و٣٦و٤٠و٤٣و٤٧و٥٠و٥٥وج ٥ ص ١٣٢ و ١٨٣)، و(مصنف ابن أبي شيبة) ج ٤ ص (٥٦٤) وج ١٠ ص (٧٦)، و(مناهل العرفان) ج ٢ ص (١١١)، و(أخبار أصبهان) ج ١ ص (٢٩٢) و(الطبقات الكبرى) ج ٣ ص (٢٢٤)، و(الفرقان) للخطيب ص (٣٦)، و(حياة الصحابة) ج ٢ ص (١٢ وج ٣ ص ٤٤٩) و (مصنف عبد الرزاق) ج ٧ ص (٣١٥) و ج ٥ ص (٤٤١)، وحياة الصحابة ج ١ ص (١٢١)، وكشف الأستار ج ٢ ص (٢٩٤).

(٣) الإتقان ج٢ ص (٢٦).

(٤) (مجمع الزوائد) ج ٧ ص (١٤٩ و ١٥٠) عن أحمد وقال: رجاله صحيح، وكذا عن الطبراني في الكبير والأوسط، (وإرشاد الساري) ج ٧ ص (٤٤٢)، و(مصنف ابن أبي شيبة) ج ١٠ ص (٥٣٨)، و(الإتقان) ج ١ ص (٦٥)، و(الدر المنثور) ج ٦ ص (٤١٦)، و(مشكل الآثار) ج ١ ص (٢٣)، و(روح المعاني) ج ١ ص (٢٤) و(فتح الباري) ج ٨ ص (٥٧١)،و (المعتصر من المختصر) ج ٢ ص (٢٥١) وكذا (الإتقان) ج ١ ص (٢٥١).

٥ - أخرج البخاري في تاريخه عن حذيفة قال: «قرأت سورة الأحزاب على النبي ﷺ فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها»(١).

وكذا قالت عائشة على ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل وابن الأنباري وابن مردويه عنها:

«كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن»(٢).

وكذا عن عبد الرزاق عن الثوري... عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب كأيِّنْ تقرؤون سورة الأحزاب قال: قلت ثلاثا وسبعين وأما أربعا وسبعين قال قط: إن كانت لتقارب سورة البقرة أو هي أطول منها وإن كانت فيها آية الرجم قال قلت: أبا المنذر آية الرجم؟ قال: «إذا زنيا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»(٣).

٦ - أخبرنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن عمرو بن دينار قال: سمعت بجالة التميمي قال: وجد عمر بن الخطاب مصحفا في حجر غلام في المسجد فيه:

«النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم».

فقال حكها يا غلام. فقال: لا أحكها وهي في مصحف أبيّ بن كعب. فانطلق

---

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص (١٨٠).

(٢) الإتقان، ج ٢ ص (٢٥)، والدر المنثور ج ٥ ص (١٨٠).

(٣) (الإتقان) ج ٢ ص (٢٥)، و(أخبار اصبهان) ج ٢ ص (٣٢٨)، و(المصنف) لعبد الرزاق ج ٧ ص (٣٢٠)، و(مناهل العرفان) ج ٢ ص (١١١) واخرجها (الدر المنثور) عن عبد الرزاق والطيالسي وسعيد بن منصور وعبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) وابن منيع والنسائي وابن المنذر والدارقطني في (الإفراد) وابن الأنباري في (المصاحف) وابن مردويه والضياء في (المختار) عن زر الرواية... راجع (الدر المنثور) ج ٥ ص (١٧٩) و(منتخب كنز العمال) بهامش (مسند احمد) ج ٢ ص (١).

إلى أبيّ فقال له: «إني شغلني القرآن وشغلك الصفق بالأسواق» [1].

٧ - حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي قال:

«كان رسول الله إذا أوحي إليه أتيناه فعلّمنا مما أوحي إليه قال: فجئت ذات يوم فقال إن الله يقول:

«إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم واديا لأحب أن يكون إليه الثاني ولو كان إليه الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» [2].

٨ - وروى أبو حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ السورة نشبهها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها:

---

(١) (المصنف) لعبد الرزاق ج ١٠ ص (١٨١)، وذكرها السيوطي عنه وعن سعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن بجالة، وكذا نقل عن الفريابي وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس أنه قرأ الآية هكذا، وكذا الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ... وهو أب لهم وكذا عن عكرمة هكذا. راجع (الدر المنثور) ج ٥ ص (١٣٨).

(٢) (مجمع الزوائد) ج ٧ ص (١٤٠) عن أحمد وقال رجاله صحيح وكذا عن الطبراني في الأوسط وكذا عن الترمذي وابن ماجه وأيضا (الإتقان) ج ٢ ص (٢٥)، و(مسند أحمد) ج ٥ ص (١٣١ و١٣٢)، و(مجامع الأصول) ج ٣ ص (٥٢)، و(الدر المنثور) ج ١ ص (١٠٥ و١٠٦)، عن عدة طرق، و(مناهل العرفان) ج ٢ ص (١١١)و(صحيح مسلم) ج ٣ ص (١٠٠) و(مسند أحمد ج ٦ ص (٥٥)، و(المصنف) لعبد الرزاق ج ١٠ ص (٤٣٦) عن اثنى عشر طريقاً، و(أخبار أصبهان) ج ٢ ص (١٨٣)، وكذا (صحيح مسلم) كتاب الزكاة ج ٢ ص (٧٢٦)، و(البرهان في علوم القرآن) ج ٢ ص (٣٦ و٣٧).

«... لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب».

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها:

«يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون يوم القيامة» (١).

٩ - عن سفيان عن الأعمش... عن عبد الله بن سلمة. قال: قال حذيفة: ما تقرؤون ربعها!!! يعني البراءة (٢).

١٠ - عن ابن عباس: لما نزلت:

وأنذر عشيرتك الأقربين «ورهطك منهم المخلصين» (٣).

١١ - أخرج ابن عبد البر في التمهيد من طريق عدي بن عمرة بن فروة عن أبيه عن جده عميرة بن فروة أن عمر بن الخطاب قال لأبيّ: أو ليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله:

«إن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم»؟ فقال بلى ثم قال «أو ليس كنا نقرأ الولد للفراش وللعاهر الحجر فيما فقدنا من كتاب الله؟» (٤).

١٢ - عن الثوري: «بلغنا أن أصحاب النبي ﷺ (الذين) كانوا يقرؤون القرآن أصيبوا يوم مسيلمة فذهبت حروف من القرآن» (٥).

---

(١) (صحيح مسلم) ج ٣ ص (١٠٠)، و(الإتقان) ج ٢ ص (٢٥)، و(البرهان) ج ٢ ص (٢٧).

(٢) رواه البيهقي في (مجمع الزوائد) ج ٧ ص (٢٨ و٢٩) عن الطبراني في الأوسط وقال رجاله ثقات وأيضا (مصنف ابن أبي شيبة) ج ١٠ ص (٥٠٩)، و(الدر المنثور) ج ٣ ص (٢٥٨) عنه وعن (أبو الشيخ) والحاكم وابن مردويه، وراجع (روح المعاني) ج ١ ص (٢٤).

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص (٢٢١).

(٤) (المصنف لابن أبي شيبة) ج ١٤ ص (٥٦٤)، و(الدر المنثور) ج ١ ص (١٠٦)، و(المصنف لعبد الرزاق ج ٩ ص (٥٠ و٥٢) وذكر في الهامش عن أحمد تمام الحديث.

(٥) (الدر المنثور) ج ٥ ص (١٧٩)، و(المصنف) لعبد الرزاق ج ٧ ص (٢٣٠).

١٣ - عبد الرزاق عن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال: «هَمَّ عمر بن الخطاب أن يكتب في المصاحف: أن رسول الله ضرب في الخمر ثمانين» [١].

١٤ - أخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعا:

«القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون حرفا» [٢].

بينما أن حروف القرآن لا يتجاوز عددها ثلث هذا المقدار.

فمع وجود هذا والكثير من أمثاله في كتب أهل السُّنة فلم ينسب بعض من ضل سعيه في الحياة الدنيا التحريف إلى الشيعة [٣].

١٥ - عن نافع عن ابن عمر قال:

«ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر» [٤].

١٦ - عن عائشة قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرّمن» [٥].

١٧ - عن مالك: «إن أولها (سورة البراءة) لما سقط، سقط معه البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل سورة البقرة» [٦].

١٨ - أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود: قال: كنا نقرأ على عهد

(١) المصنف لعبد الرزاق ج ٧ ص (٣٧٩ و٣٨٠).
(٢) (الإتقان) ج ١ ص (٥٠)، و(كنز العمال) ج ١ ص (٥١٧ و ٥٤١).
(٣) الشيعة والسنة ص (٨٠).
(٤) الإتقان ج ٢ ص (٤٠ و ٤١).
(٥) (صحيح مسلم) ج ٤ ص (١٦٧ و١٦٨)، و(المصنف) لعبد الرزاق ج ٧ ص (٤٥٧و٤٧٠و٤٦٩)، (الإتقان) ج٢ ص (٢٢)، و(بداية المجتهد) ج ٢ ص (٣٦)، و(الدر المنثور) ج ٢ ص (١٣٥) عن ابن أبي شيبة وعبد الرزاق و(مناهل العرفان) ج ٢ ص (١١٠).
(٦) الإتقان ج ١ ص (٦٥).

رسول الله ﷺ:

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» [(١)].

١٩ - أخرج ابن ماجه عن عائشة قالت:

«لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كانت في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله وتشاغلنا بموته دخل الداجن فأكلها» [(٢)].

٢٠ - وروى أبو سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم:

«أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة: «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، الا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون» [(٣)].

٢١ - وروى المسور بن مخرمة قال: «قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا: «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» فإنا لا نجدها؟ قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن» [(٤)].

٢٢ - روي عن أبيّ بن كعب أنه كتب في مصحفه سورتي الحفد والخلع: «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم

(١) (الدر المنثور) ج ٢ ص (٢٩٨)، و(التمهيد في علوم القرآن) عنه، ج ١ ص (٢٦١).
(٢) (تأويل مختلف الحديث) ص (٣١٠) وراجع (مسند احمد) ج ٦ ص (٢٢٣).
(٣) الإتقان ج ٢ ص (٢٦).
(٤) نفس المصدر ص (٢٤) عن البيان في تفسير القرآن ص (٢٢٣).

« اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق» [١] .

جوابنا عن روايات أهل السنّة في التحريف

أ - لقد ثبت عند جميع المسلمين تواتر القرآن ولم يقل أحد منهم - اعتقادا - أنه قد ثبت عن طريق الآحاد لا كلاً ولا بعضا، فعلى هذا تطرح كل الروايات التي يشم منها ثبوت القرآن أو بعضه بغير التواتر، وكذا نطرح الروايات التي تقول بنسخ التلاوة لبعض الآيات، فهذه الروايات كلها آحاد لا تثبت قرآنا ولا تصمد أمام تواتر القرآن الثابت عند جميع المسلمين، فيجب الحكم ببطلانها حتى ولو افترضت صحة سندها أيضا لمخالفتها للكتاب (كما قلنا في السابق) بالإضافة إلى اعتقاد جميع المسلمين بتواتر الكتاب.

ب - أما بالنسبة إلى القراءات المختلفة التي نقلت عن بعض الصحابة في قسم من الآيات، فسنناقشها في المباحث الآتية. ولكن نقول هنا باختصار:

إن هذه القراءات مما وجد بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قِبَلِ الصحابة الذين كان كل واحد منهم من قبيلة ولم يكن سماعهم من النبي ﷺ كاملا، كما أن بعضهم كان ينسى الآيات أو قراءتها الصحيحة، فيتخيل على النحو الذي يراه - كما يظهر من كثير من الروايات المتقدمة -، بل ذهب كل منهم إلى بلد فقرأ القرآن بنحو يختلف به عن غيره من حيث القراءة، ولذا لما رأى حذيفة ذلك في آذربيجان، خاف من الاختلافات بين أهل الشام والعراق، فجاء إلى عثمان وعرض عليه هذا الأمر، فحمل عثمان الناس على قراءة واحدة حفظا

---

(١) (مجمع الزوائد) ج ٧ ص «١٥٧»، و(الإتقان) ج ٢ ص «٢٦»، وعن (المستدرك على الصحيحين) و(روح المعاني) ج ١ ص «٢٥»، و(البرهان) ج ٢ ص «٣٧»، و(الإتقان) ج ١ ص «٦٥» نقلها عن أبي عبيد والطبراني والبيهقي وابن جريج ومحمد بن نصر المروزي في كتابه الصلاة وكذا عن الطبراني بسند صحيح.

للقرآن من التحريف والنقصان وأيده الإمام علي عليه السلام أيضا في ذلك.
فعلى هذا نقول: إن القراءات التي نقلها القراء والمفسرون و... لم تكن كلها صحيحة، بل ما تواتر منها وثبت التواتر في حقها واقعا يكون في نظرنا صحيحا مع القول بأن واحدة منها فقط صحيحة ولكن إذا لم يكن تشخيص هذه الواحدة من بين القراءات المتعددة المتواترة ممكنا فإننا نقول بصحة ما هو المتواتر قط ولو كان اثنين أو ثلاثة أو ...

ج - أما بالنسبة إلى ما نسب إلى ابن مسعود حول إنكاره كون المعوذتين من القرآن فنقول: إنه بالإضافة إلى عدم قبول هذا من ابن مسعود لتواتر القرآن وثبوتهما عند جميع المسلمين، نرى أن بعض الناس نفى هذه النسبة إلى ابن مسعود كما يظهر ذلك من الفخر الرازي في تفسيره، ويقول النووي أيضا: أجمع المسلمون على أن فاتحة الكتاب والمعوذتين من القرآن... وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح، كما أن ابن حزم أنكر هذه النسبة إلى ابن مسعود، وأيضا روى أن عاصم أخذ قراءتها من ابن مسعود والحال أن المعوذتين وفاتحة الكتاب ثابتة في مصحف عاصم!

ويقول حول ذلك صاحب المناهل: «إذا أنكر ابن مسعود هاتين السورتين لا يضرنا لوجود التواتر على أنهما من القرآن»[1].

أما القسطلاني فإنه لما رأى أن تكذيب هذا القول بالنسبة إلى ابن مسعود ينتهي إلى تكذيب الرواة الذين نقلوا ذلك قال بتوجيه آخر. وهو أن ابن مسعود لم ينكر قرآنيتهما بل أنكر إثباتهما في مصحفه»[2].

... ونحن نقول للقسطلاني لماذا هذا التوجيه فإذا لم ينكر ابن مسعود

(١) راجع كل ذلك في : (مناهل العرفان) ج ١ ص «٢٦٨ و٢٦٩»، و(البرهان في علوم القرآن) ج ٢ ص «١٢٨».

(٢) إرشاد الساري، ج ٧ ص «٤٤٢».

قرآنيتهما فلماذا لم يثبتهما في مصحفه؟!!!!!

أما الباقلاني فيكذب رواة هذه النسبة ويقول: «أما المعوذتين فكل من ادَّعى أن ابن مسعود أنكر أن تكونا من القرآن فقد جهل وبَعُد عن التحصيل لأن سبيل نقلهما سبيل نقل القرآن» (١).

وأما بالنسبة إلى ما نسب إلى أبيّ من أنه أضاف إلى مصحفه سورتي الخلع والحفد! فيقول القاضي:

«ولا يجوز أن يضاف إلى عبد الله أو إلى أبيّ بن كعب أو زيد أو عثمان أو علي (ع) أو واحد من ولده أو عترته جحد آية أو حذف من كتاب الله وتغييره أو قراءته على خلاف الوجه المرسوم... وأن كلام القنوت المروي عن أبيّ بن كعب الذي أثبته في مصحفه لم تقم حجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء وإنما روى عنه أنه أثبت في مصحفه وقد ثبت في مصحفه ما ليس بقرآن، من دعاء أو تأويل» (٢).

ويقول الباقلاني: إن كلام القنوت المروي عن أبيّ بن كعب وأثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء!! وإنه لو كان قرآنا لنقل إلينا نقل القرآن وحصل العلم بصحته» (٣).

فهذه الروايات التي نقلت من كتب السُنّة والتي تدل على التحريف إما أنها من خلط الصحابة، أو سهوهم، أو اجتهادهم الخاطئ في ذلك، وإما تخليط من الرواة لنقل هذه الروايات كذبا وافتراءً عليهم، فبعد ثبوت تواتر القرآن عند جميع المسلمين يجب طرح هذه الروايات وإن وجدت في البخاري أومسلم أو غيرهما

(١) الانتصار لنقل القرآن ص «٩٠».

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص «١٢٨».

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن ص «٨٠» وراجع مناهل العرفان ج ١ ص «٢٦٤» عنه.

من السنن والصحاح....

قصة البسملة والتحريف

هنا قصة أخرى تدل أيضا على قولهم بالتحريف وإن لم يصرحوا به: وهو ادعاء بعضهم عدم كون البسملة من الآيات القرآنية.

يقول الزمخشري: قُرّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها. على أن التسمية ليست بآية من فاتحة الكتاب ولا من غيرها من السور [١] ورووا أيضا في رواية في نزول البسملة بأنها نزلت ابتداءً بسم الله وبعد مدة ألحق بها الرحمن وبعد مدة نزلت بتمامها [٢] فمعنى هذا أن البسملة ليست من فاتحة الكتاب التي كان يقرؤها النبي ﷺ من ابتداء البعثة.

والباقلاني كتب صفحات متعددة حول إثبات أن البسملة ليست آية من فاتحة الكتاب ولا من فاتحة كل سورة وإنما هي قرآن في سورة النمل فقط [٣]. والذي فهم أن القول بحذف البسملة إنما يعني القول بتحريف القرآن هو الفخر الرازي الذي يقول: ردا على من يعتقد أن البسملة ليست من القرآن.

«فلو لم تكن التسمية من القرآن لما كان القرآن مصونا من التغيير، ولما كان محفوظا من الزيادة، ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا لجاز أيضا أن يظن بهم النقصان، وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة» [٤].

(١) (الكشاف) ج ١ ص «١»، وراجع حول نفيهم ذلك: (المرونة الكبرى) ج ١ ص «٦٤»، و(فقه السنة) ج ١ ص «١٣٦»، و(أحكام القرآن) لابن عربي ج ١ ص «٢»، و(روح المعاني) ج ١ ص «٣٧».

(٢) (التنبيه والإشراف) ص «٢٢٥»، و(السيرة الحلبية) ج٣ ص «٢٣»، و(كنز العمال) ج ٥ ص «٢٤٤»، و(الطبقات الكبرى) ج ١ ص «٢٦٣ و٢٦٤»، و(روح المعاني) ج ١ ص «٣٧»، و(العقد الفريد) ج ٣ ص «٤».

(٣) الانتصار ص «٧١ إلى ٧٤».

(٤) التفسير الكبير ج ١٩ ص «١٦٠».

وكذا نبه السيد ابن طاووس رضي الله عنه على ذلك ردا على أحد أهل السُنة الذي اتهم الشيعة بالاعتقاد بالتحريف قال:

«.. قد رأينا في تفسيرك أنك ادَّعيت أن بسم الله الرحمن الرحيم ما هي من القرآن الشريف وقد أثبتها عثمان فيه ومذهب سلفكم أنهم لا يرونها آية من القرآن وهي مائة وثلاثة عشرة آية من المصحف الشريف تزعمون أنها زائدة وليست من القرآن فهل هذا الاعتراف منك يا أبا علي بزيادتكم في المصحف الشريف والقرآن ما ليس فيه» [١].

الحروف المقطعة أسماء للسور

هذا الكلام الذي ذكره عدة من أهل السُنة يدل على التحريف أيضا. يقول ابن طاووس رحمه الله ردا على أحد أهل السُنة:

«... وجدناك في تفسيرك تذكر أن الحروف المقطعة التي في أول سور القرآن أسماء السور، ورأينا هذا المصحف الشريف الذي تذكر أن سيدك عثمان بن عفان جمع الناس عليه قد سمى كثيرا من السور التي أولها حروف مقطعة بغير هذه الحروف...» [٢].

وأيضا نقل عن عبد الرحمن بن أسلم أن الحروف المقطعة هي أسماء السور[٣]، فمع تصريحهم بأن أسماء السور قد وضعت من قبل الصحابة من جهة، وكون الحروف المقطعة هي أسماء السور من جهة أخرى - كما يقولون - فوجود هذه الحروف المقطعة في القرآن يدل على التحريف.

---

(١)، (٢) سعد السعود، ص «١٤٥».

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص «٣٦»، المنار ج ١ ص «١٢٢».

نسخ التلاوة

قيل في جواب الروايات التي نقلناها فيما سبق - والتي تدل على نقص في بعض السور كالبراءة والأحزاب وغيرهما - إن هذا النقص قد نسخت تلاوته ونسخ من قبل الله، ويعبر عن ذلك بـ «نسخ التلاوة».

أما نحن فلا نستطيع أن نقبل هذا القول بل نقول: إن نسخ التلاوة أمر وضع في وقت متأخر من أجل تصحيح ما رواه أهل السُنة حول النقص في بعض السور أو حذف بعض الآيات أو ضياع قسم منها، أو أكل الشاة له. نعم لقد وضعوا ذلك من أجل توجيه ما رواه بعض الناس من دون فهم. لذا نرى أن جمعا من علماء السُنة أيضا ينكرون هذا النوع من النسخ.

يقول الإمام السرخسي: «لا يجوز هذا النوع من النسخ في القرآن عند المسلمين، وقال بعض الملحدين ممن يتستر بإظهار الإسلام - وهو قاصد إلى فساده - هذا جائز بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، واستدل في ذلك بما روي عن أبي بكر «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم» وما روي عن أنس «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وما قاله عمر «قرأنا آية الرجم في كتاب الله ورعيناها» وما قال أبيّ: «أن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة أو أطول منها» (فأضاف السرخسي) والشافعي لا يظن به موافقة هؤلاء في هذا القول، ولكنه استدل بما هو قريب من هذا في عدد الرضعات فإنه صحح ما يُروى عن عائشة: «أن مما أنزل في القرآن «عشر رضعات معلومات يحرمن» فنسخن بخمس رضعات معلومات وكان ذلك مما يتلى في القرآن بعد وفاة رسول الله».

وقال السرخسي بعد ذلك: «والدليل على بطلان هذا القول قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ومعلوم أنه ليس المراد الحفظ لديه تعالى فإنه يتعالى من أن يوصف بالغفلة والنسيان فعرفنا أن المراد الحفظ لدينا.

وقد ثبت أنه لا ناسخ لهذه الشريعة بوحي ينزل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولو جوزنا هذا في بعض ما أوحي إليه لوجب القول بتجويز ذلك في جميعه فيؤدي ذلك إلى القول بأنه لا يبقى شيء مما ثبت بالوحي بين الناس في حال بقاء التكليف. وأي قول أقبح من هذا...» [١].

ويقول أيضا الدكتور صبحي الصالح:

«وجعلوا النسخ على ثلاثة أضراب: نسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ التلاوة مع الحكم... أما الجرأة العجيبة ففي الضربين الثاني والثالث اللذين نسخت فيهما - بزعمهم - تلاوة آيات معينة، إمّا مع نسخ الحكم وإمّا من دونه، والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأً مركّبا: فتقسيم المسائل إلى أضراب إنما يصلح إذا كان ضرب شواهد كثيرة أو كافية - على الأقل - ليتيسَّر استنباط قاعدة منها، وما لعشاق النسخ إلا شاهد أو اثنان على كل من هذين الضربين وجميع ما ذكروه منها أخبار آحاد ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها. وبهذا الرأي السديد أخذ ابن ظفر في كتاب الينبوع [٢] إذ أنكر أن هذا مما نسخت تلاوته وقال: لأن الخبر الواحد لا يثبت القرآن» [٣]. وذكر الشيخ صبحي أمثلة من ذلك كآية الرجم، وعشر رضعات و....

أما نحن فنقول للشيخ صبحي: ماذا تقولون إذن بهذه الروايات الواردة في كتب أهل السُنة وصحاحهم؟ فإن كانت روايات آحادية - كما ذكرت وهو الحق - وجب الحكم ببطلان الروايات التي أوردها البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(١) أصول السرخسي ج ٢ ص «٧٨ - ٨٠» نقلا عن التمهيد ج ٢ ص «٢٨١».

(٢) هو أبو عبد الله بن ظفر المتوي ٥٦٨ ومن كتابه الينبوع أجزاء متفرقة من نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة برقم ٣١٠ تفسير.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص «٢٦٥ و ٢٦٦».

فآية الرجم مثلا إن كانت باطلة فمن المقصر في ذلك؟

وكذا ما روي عن أبي موسى الأشعري وابن عمر وأبيّ بن كعب وغيرهم هل هو صحيح عنهم أو مكذوب عليهم، فهل رواية هذه الروايات الآحاد التي لا تثبت قرآنا إلا القول بالتحريف من ناحية الصحاح... فلذا يقول السيد الخوئي:

«إن القول بنسخ التلاوة عين القول بالتحريف والإسقاط، وبيان ذلك أن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده. فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله ﷺ فهو أمر يحتاج إلى الإثبات، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها [١]، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع الكتاب بالسنّة المتواترة، وإليه قد ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل كان جماعة ممن قالوا بإمكان نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة منعوا وقوعه [٢]. وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي ﷺ بإخبار هؤلاء الرواة.

مع أن نسبة النسخ إلى النبي ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أن الإسقاط قد وقع بعده (كما ذكرنا ذلك في المباحث السابقة). وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي ﷺ فهو عين القول بالتحريف وعلى هذا فيمكن أن يُدّعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السُنة لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة سواء أنسخ الحكم، أم لم ينسخ... نعم ذهبت طائفة من المعتزلة [٣] إلى عدم جواز نسخ التلاوة» [٤].

(١) الموافقات لأبي إسحاق الشافعي، ج ٣ ص «١٠٦».
(٢) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي، ج ٣ ص «٢١٧».
(٣) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي، ج ٣ ص «٢٠١ و ٢٠٢».
(٤) البيان في تفسير القرآن، ص «٢٢٤ و ٢٢٥».

وقد نفى القول بنسخ التلاوة أيضا كل من: الجزيري في كتابه «الفقه على المذاهب الأربعة» ج ٣ ص ٢٥٧، والأستاذ السايس في كتابه «فتح المنان على حسن العريض» ص ٢١٦ و ٢١٧ [١].

جمع القرآن والتحريف

إن سيرة المسلمين في قبال القرآن في التاريخ هي عدم الشك في آية من آيات الله واعتقادهم بأنه كله هو المنزل من جانب الله من دون نقص أو زيادة ومع ذلك فقد روى أهل السُّنة في صحاحهم وغيرها من السنن روايات حول جمع القرآن يفهم منها عدم تواتر الآيات القرآنية بل ثبتت بالآحاد. وها نحن نذكر بعض هذه الروايات ثم نناقشها:

* عن البخاري: عن زيد بن ثابت. قال: (أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: «إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقُرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقُرّاء في المواطن فيذهب كثير من آي القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن» فقلت لعمر: «كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ !!؟ قال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر» قال زيد: قال أبو بكر:

«إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن اِجْمَعَهُ. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: «كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ»!!؟ قال: «هو والله خير» فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب وصدور الرجال!! فوجدت آخر سورة

(١) راجع: التمهيد في علوم القرآن، ج ٢ ص «٢٨١».

التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره: «لقد جاءكم رسول...» حتى خاتمة البراءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر»(١).

وعن ابن أبي داود من طريق الحسن: «أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان قتل يوم اليمامة فقال: إنا لله وأمر بجمع القرآن فكان أول من جمعه في المصحف»(٢).

* وعن ابن أشتة في المصاحف عن ابن بريدة قال: «أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه، وجمعه ثم ائتمروا ما يسمونه فقال بعضهم سموه السفر، قال ذلك تسمية اليهود فكرهوه فقال: رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف»(٣).

● وعن زيد بن ثابت: «كتبنا المصاحف، ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله فوجدت عند خزيمة ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ... ﴾ وكان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتى يشهد عليها شاهدان فجاء رجل من الأنصار بآيتين فقال عمر، لا أسألك عليها شاهدا غيرك»(٤).

● وعن يحيى بن عبد الرحمن حاطب قال: «أراد عمر أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال «من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأتنا به» وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل شيئا من ذلك حتى

(١) البخاري، كتاب التفسير باب جمع القرآن، وأيضا الإتقان ج ١ ص «٥٧» عنه وتاريخ الخلفاء ص «٧٧» وتفسير الطبري ج ١ ص «٢٠».

(٢) الإتقان ج ١ ص «٥٨».

(٣) الإتقان ج ١ ص «٥٨».

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص «١٣٦»، والبخاري، كتاب التفسير، وراجع البرهان ج ١ ص «٢٣٤» عنه.

يشهد عليه شاهدان. فجاء خزيمة فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، فقال وما هما؟ قال تلقيت من رسول الله لقد جاءكم رسول..» [١].

● عن أنس بن مالك: «كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوافي الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء الرجل أو يرسل إليه» [٢].

● عن أبيّ بن كعب «أنهم جمعوا القرآن في المصاحف في خلافة أبي بكر رحمه الله وكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبيّ فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة: ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن فقال: أبيّ بن كعب أقرأني بعدها آيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ [٣].

● عن أبي داود بن الزبير أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: «اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه» [٤].

● عن ابن سيرين: «مات أبو بكر وعمر لم يجمع القرآن» [٥]

● وروى ابن سعد «أن أول من جمع القرآن عمر» [٦].

فهذه الروايات وأمثالها كثيرة في كتب الصحاح وغيرها والقبول بها في شأن جمع القرآن إنما يعني القبول بعدم تواتر القرآن، وثباته بأخبار آحاد كقول خزيمة، أو بشاهدين أو بنقل أبيّ بن كعب أو بقول رجل كان في البوادي فيرسل

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج ٤ س «١٣٦».
(٢) تفسير الطبري ج ١ ص «٢١».
(٣) مجمع الزوائد، ج ٧ ص «٣٥».
(٤) إرشاد الساري، ج ٧ ص «٤٤٧».
(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج ١٢ ص «٩٠»، والطبقات الكبرى ج ٣ ص «٢١١».
(٦) الطبقات الكبرى، ج ٣ ص «٢٨١».

إليه حتى يقرأها لهم، أو كانت الآية مع رجل قتل في اليمامة، أو غير ذلك من المسائل التي لا يمكن التغاضي عنها لو أريد قبول مرويات الصحاح بهذا الشأن.

وقد تنبه الزركشي لهذا الأمر وذكر توجيها في المقام لا يمكن قبوله؛ يقول بالنسبة لقول زيد بأخذ آيتين من خزيمة:

«ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم (النبي) فكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها فلما سمع ذكره، وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا استحداث العلم» (١)

ولكن لا دليل على مثل هذا التوجيه إذ لو قبلنا ذلك فهل ثبت التواتر بعلم زيد وخزيمة فقط؟ وهل نسي كل الصحابة هذه الآية؟!! وإذن فلعلهم جميعا قد نسوا بعض الآيات حتى حزيمة!!!! ولم يوجد من يذكرهم ويستظهر لهم العلم!!!

وأقبح من هذا توجيهه حول آيات آخر سورة التوبة التي قال زيد عنها: «وجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت ولم أجدها مع غيره» إذ يقول الزركشي: «يعني ممن كانوا في طبقة زيد ممن لم يجمع القرآن» (٢) . فهذا توجيه لا سند له.

وقد حاول آخرون تصحيح قصة خزيمة بأن معناها: «أن الصحابة لم يجدوا تلك الآية مكتوبة إلا عند خزيمة بخلاف غيرها من الآيات» (٣) . لأن هذا القيد - قيد الكتابة - لم يوجد في أي رواية تتعلق بهذا الأمر ولا يمكن قبوله بدون دليل، بالإضافة إلى أن قيد شهادة خزيمة بمنزلة الشهادتين ينفي ذلك. كما أن توجيه البعض الآخر بالقول «إن معنى ذلك هو أن زيدا يطلب التثبت عمن تلقاها بغير

---

(١) البرهان، ج ١ ص «٢٣٦».

(٢) نفس المصدر ص «٢٣٩».

(٣) مناهل العرفان ج ١ ص «٢٦٦».

واسطة» [١] كذلك هذا التوجيه لا دليل عليه أيضا. كما أن توجيه ابن حجر لقصة قبول الآيات ينفي هذا التوجيه [٢]. أما نحن فنرفض هذه الروايات حول جمع القرآن وذلك لما يلي:

أ – لوجود التناقض في نقل هذه الروايات كثيرًا ولا يمكن جمعها بوجه فهل الجامع هو أبو بكر أم عمر أم حذيفة أم كما قال ابن سيرين غيرهم.

ب : قيل إنّ علة جمع القرآن هو قتل القُرّاء في اليمامة. وهذا لا يمكن قبوله لأن كُتّابَ الوحي والحافظين له كلهم موجودون في المدينة كعلي بن أبي طالب و أُبيّ بن كعب الذي قال فيه النبي ﷺ: «أقرؤهم أبيّ بن كعب» [٣] وكذا عبد الله بن مسعود الذي قال النبي ﷺ فيه: «اقرؤوا بقراءة ابن أم عبد» [٤]. فمع وجود هؤلاء الأفراد في المدينة لا يمكن تصور خوف أبي بكر وعمر من ذهاب القرآن؟!

ج – إننا أثبتنا في السابق أن القرآن قد جمع في عهد النبي ﷺ، وأن قصة جمع القرآن في عهد الخلفاء كذب محض، وقدح في النبي ﷺ بعدم اهتمامه بجمع القرآن. (مع أنه لم يكن له شغل أهم من جمع القرآن وحفظه للأجيال المسلمة اللاحقة). فإذا ثبت أن جمع القرآن كان في زمن النبي ﷺ فلا يمكن قبول هذه الروايات.

د – بعد قبول تواتر القرآن كله وعدم وجود نقص أو زيادة فيه عند الجميع وجب طرح هذه الروايات التي تثبت القرآن بالآحاد.

---

(١) إرشاد الساري، ج ٧ ص «٤٤٨».

(٢) الإتقان، ج ١ ص «٥٨».

(٣) (مستدرك الصحيحين)، ج ٣ ص «٥٣»، و(الطبقات الكبرى)، ج ٢ ص «٣٤٠»، و(أخبار أصبهان)، ج ٢ ص «١٣».

(٤) المصنف لابن أبي شيبة، ج ١٠ ص «٥٢٠ و ٥٢١».

التحريف وروايات الشيعة

لقد نقل رواة الشيعة بعض الروايات التي يُشم منها التحريف ووقوعه في كتاب الله ظاهرا، واستدل البعض - من غير المتثبتين في الأمور - بهذه الروايات على أن الشيعة قائلون بالتحريف. ونحن نقول في جواب هؤلاء المستدلّين:

١ - إن ذكر الروايات ونقلها في الكتب لا يعني الاعتراف الضمني بصحتها لاسيما عند عامة الإمامية، وكذلك الحال بالنسبة لأهل السُنة وإن كانوا يعتقدون بصحة كل ما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح الستة، وكيف يمكن قبول دعوى صحة كل ما في الكتب في حين نجدهم يذكرون روايات متناقضة في كثير من المسائل الإسلامية من الأصول والفروع، وعلى فرض تصريح مصنف بأنه ذكر الروايات الصحيحة فقط فإنه لا يمكن الاعتماد على قوله والحكم بصحة جميع مروياته.

وخلاصة الأمر هي أن الشيعة لا يعتقدون بصحة جميع مروياتهم. ولذا ذكروا أستاذ الأحاديث لكي ينظر المدقق ويتحقق - بعد إنعام النظر في رجال الحديث، أو غير ذلك من المزايا - من صحة الحديث أو ضعفه. وهذا ما ينسحب على كتاب الكافي وغيره من كتب الشيعة.

أما بالنسبة إلى تفسير القمي الذي ذكر بعض هذه الروايات فنقول: إن ما ذكرناه آنفا يشمل هذا الكتاب أيضا، إضافة إلى أنه قد خلط مع تفسير آخر يسمى بـ «تفسير أبي الجارود» وقد ذكر ذلك وتثبته: الشيخ آقا بزرگ الطهراني[1].

فهذا التفسير (تفسير أبي الجارود) بالإضافة إلى أن في سنده كثير بن عياش

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٤ ص «٣٠٢ - ٣٠٤».

- وهو ضعيف - فإنه ينتهي إلى أبي الجارود المنحرف عن مدرسة أهل البيت (ع)، والذي كان قد لعنه الإمام الصادق (ع) - كما قال ابن النديم - وقال فيه وفي جماعة آخرين بأنهم كذابون، ووردت روايات في جرحه وعدم مقبوليته عند أهل البيت (ع) [١].

وأما توثيق السيد الخوئي لأبي الجارود لأجل وقوعه في أسانيد كامل الزيارات الذي قد شهد محمد بن قولويه بوثاقه جميع رواته [٢] فغير صحيح لتقدم الجرح على التوثيق، وورود الروايات في ذم أبي الجارود يقدم على توثيق ابن قولويه له، بالإضافة إلى عدم صحة ما ذكره من وثاقة جميع رجال كامل الزيارات، وابن قولويه لا يظهر من كلامه ذلك. وعلى كل حال فقد قال المامقاني بعد نقل الروايات في جرح أبي الجارود:

«إن الرجل لم يرد فيه توثيق بوجه، بل هو مذموم أشد الذم وقد ضعفه في الوجيزة وغيرها» [٣].

أما نقل بعض الثقات عنه فلا يوجب توثيقه. كما صرح بذلك السيد الخوئي بالنسبة إلى أبي الجارود [٤].

وأمّا بالنسبة إلى الكافي الذي ألف خلال عشرين سنة بيد الشيخ المتقي الكليني رحمه الله فنحن لا نقول بصحة كل الروايات التي نقلها الكليني فيه لأن قسما منها يعدّ من حيث السند ضعيفا أو مرسلا أو غير ذلك، وقسماً آخر منها لا يوافق الكتاب ويمكن أن يخدش فيه من حيث المتن، ومنها روايات التحريف إن

(١) (مجمع الرجال)، ج ٣ ص «٧٣ و ٧٤»، و(قاموس الرجال)، ج ٤ ص «٢٢٨ و ٢٣٠»، و (جامع الرواة)، ج ١ ص «٣٣٩».

(٢) معجم رجال الحديث، ج ٧ ص «٣٢٥».

(٣) تنقيح المقال، ج ١ ص «٤٦».

(٤) معجم رجال الحديث، ج ٧ ص «٣٢٥».

وجدت. فليس الكافي في نظر الإمامية كالبخاري ومسلم وسائر السنن في نظر أهل السُنّة الذين يقولون بصحة كل مرويات تلك الكتب وإن خالفت الكتاب!!! بل يقولون بأن السُنّة قاضية على الكتاب» [١] فراجع مرآة العقول للعلامة المجلسي وانظر ما أصدره المجلسي من أحكام بالنسبة إلى الروايات من حيث السند فقط لترى أنه يحكم بضعف جمع من الروايات أو بإرساله أو غير ذلك من وجوه الضعف.

يقول السيد هاشم معروف الحسني: «إن المتقدمين لم يُجمِعوا على الاعتماد على جميع مروياته جملة وتفصيلا» [٢].

ويقول أيضا: «إن أحاديث الكافي التي بلغت ستة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين - ١٦١٩٩ - حديثاً، يكون الصحيح منها خمسة آلاف واثنين وسبعين حديثا، والحسن مائة وأربعة وأربعين حديثا، والموثق ألفا ومائة وثمانية وعشرين حديثا، والقوي ثلاثمائة وحديثين، والضعيف تسعة آلاف وأربعمائة وثمانين حديثا [٣]. هذا من حيث السند فقط.

بعد ذلك نقول: إن أكثر روايات التحريف روايات ضعيفة ينتهي إسنادها إلى الضعفاء [٤] والذين هم متهمون بالغلو وفساد المذهب.

فقسم كبير من هذه الروايات ينتهي إلى أحمد بن محمد السياري. يقول الشيخ ميرزا مهدي البروجردي: عددت روايات التحريف، فرأيت أن أكثر من

(١) (تأويل مختلف الحديث) ص «١٩٩»، و(سنن الدرامي) ج ١ ص «١٤٥»، و(مقالات الإسلاميين) ج ١ ص «٢٢٤ و ٢٥١»، و(دلائل النبوة) ج ١ ص «٢٦»، و(عون المعبود) ج ٤ ص «٤٢٩»، كل ذلك عن بحوث مع أهل السُنّة والسلفية ص «٦٧ و ٦٨».

(٢) دراسات في الحديث والمحدثين، ص «١٣٢ و ١٣٤».

(٣) دراسات في الحديث والمحدثين، ص «١٣٧» عن روضات الجنات.

(٤) (مجمع البيان)، ج ١ ص «١٥»، و(أوائل المقالات)، ص «١٩٥» الهامش، و(بحار الأنوار) ج ٨٩ ص «٧٥» .

١٨٨ منها ينتهي إلى السياري ولكنا عددنا هذه الروايات فرأينا أنها أكثر من ثلاثمائة حديث عنه، ويقول الشيخ النجاشي في رجاله حول السياري:

«ضعيف الحديث، فاسد المذهب، و...» وذكر النجاشي عبارة يفهم منها أنه متهم بالغلو [١]. وحكم الشيخ الطوسي عليه بالضعف في الاستبصار بعد نقل حديث عنه [٢].

وقال ابن الغضائري عن السياري: «يكنى أبا عبيد الله المعروف بالسياري ضعيف متهالك غال منحرف» [٣]. وأيضا عن الشيخ بشأن السياري: «ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفو الرواية كثير المراسيل» [٤].

ومن رواة هذه الروايات يونس بن ظبيان الذي قال فيه النجاشي:

«ضعيف جدا، لا يلتفت إلى ما رواه، كل كتبه تخليط»، وقال ابن الغضائري: «ابن ظبيان كوفي غالٍ كذّابٌ وضّاع الحديث» [٥].

ومنهم منخل بن جميل الكوفي: نص المؤلفون في الرجال على أنه «ضعيف، فاسد الرواية» وأضافوا إلى ذلك «أنه من الغلاة المنحرفين» [٦].

ومنهم محمد بن حسن بن جمهور الذي قال الحلي فيه: «كان ضعيفا في الحديث، غاليا في المذهب، فاسدا في الرواية، لا يلتفت إلى حديثه، ولا يعتمد على ما يرويه» [٧] وكذا قال النجاشي فيه: «ضعيف الحديث، فاسد المذهب» [٨].

---

(١) رجال النجاشي، ص «٥٨».

(٢) (قاموس الرجال)، ج ١ ص «٤٠٣ - ٤٠٤»، وراجع: معجم رجال الحديث)، ج ٢ ص «٢٩٠».

(٣) قاموس الرجال ج ١ ص «٤٠٣».

(٤) معجم رجال الحديث ج ٢ ص «٢٩٠».

(٥) (رجال النجاشي) ص «٨٣٨» - و(خلاصة الرجال) للعلامة الحلي ص «٢٦٦» وراجع: (اختيار معرفة الرجال) ص «٢١٨». ملحقات.

(٦) دراسات في الحديث والمحدثين ص «١٩٨».

(٧) خلاصة الرجال ص «٢٥١». (٨) رجال النجاشي ص «٢٢٨».

وهكذا يتضح أن هؤلاء الأشخاص ما كانوا مقبولين عند الرجاليين بل هم من الغلاة، وو إلخ. ورواية بعض الأخباريين عنهم لم تكن عن دقة وتأمل ولذا اعتقد بعضهم طبقا لهذه الروايات عن هؤلاء الضعفاء بالنقص في القرآن ولكن هؤلاء ليسوا إلا شرذمة قليلين وكما يقول الشيخ أبو زهرة: «خالفهم في ذلك الكثيرون من الإمامية وعلى رأسهم المرتضى والطوسي وغيرهما» [١].

٢ - ومن الروايات في هذا الباب قسم يرجع إلى الاختلاف في القراءات وقد ذكر بعض هذه الروايات في كتب الشيعة وقسم كبير منها في كتب أهل السُنة وما جاء في كتب الشيعة قد نسب أكثره إلى أهل البيت (ع) ولاسيما إلى مصحف علي بن أبي طالب (ع) كما نسبت هذه الاختلافات التي جاءت في كتب أهل السُنة إلى الصحابة كابن مسعود أو أبيّ أو غيرهما.

ونقول: إن هذه الروايات التي وردت فيها الآيات مخالفة لما هو المتواتر والمشهور بين الناس وهي أخبار الآحاد لا يثبت بها القرآن ولا يمكن رفع اليد عن المتواتر بالآحاد، كما أن الأئمة (ع) قد أمروا متابعيهم بقراءة القرآن كما يقرؤه الناس[٢].

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين:

«إن جميع ما روي من وجوه القراءة بزيادة أو نقصان عن المصحف الذي بين أيدينا لا يخرج عن كونه شاذ الرواية وهو لا يثبت قرآنا، أو هو من المدرج الذي أقحم في النص تفسيرا وبيانا وذلك ليس بقرآن» [٣].

فعلى هذا لا يمكن ولا يجوز استعمال هذه القراءات الشاذة في القرآن لأنها

(١) الإمام زيد بن علي، ص «٣٥٠ و ٣٥١».
(٢) الكافي، ج ٢ ص «٢١٩».
(٣) تاريخ القرآن، ص «٨١».

آحاد، بالإضافة إلى إمكان كون هذه القراءات بيانا لأصل الآيات وتفسيرا للبينات كما أشار إليه الدكتور عبد الصبور، ويؤيد ما قاله أبو حيان في تعليقته على قراءة ابن مسعود: (فوسوس لهما الشيطان عنها) في موضع (فأزلهما الشيطان عنها): وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه فينبغي أن تجعل تفسيرا[١] وهكذا الحال بالنسبة إلى بعض الروايات التي نقلها الإمامية. ويوجد في كتب أهل السنّة الاختلاف في القراءات أيضا، كما ألفت في اختلاف القراءات والمصاحف عشرات الكتب، راجع كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني حول اختلاف المصاحف أو تفسير الزمخشري أو الطبري أو غير ذلك فسترى شيئا تتعجب منه قطعا، وراجع أمثلة أخرى لاختلاف المصاحف في كتب أهل السنّة مما نذكره من المصادر في الهامش [٢].

فهذه الاختلافات يرجع أكثرها إلى التفسير والبيان لاسيما بالنسبة إلى بعض من كان يعتقد بجواز تبديل كلمات القرآن لأجل توضيحه [٣] وإن كان هذا يؤدي بمرور الزمان إلى القول بالتحريف.

وأما ما روي عن أهل السنّة من أن القرآن نزل على سبعة أحرف [٤] وحملها

---

(١) البحر، ج ١ ص «١٥٩» نقلا عن تاريخ القرآن ص «٩٦».

(٢) (سنن أبي داود) ج ٢ ص «٣١»، و(مصنف ابن أبي شيبة)، ج ٢ ص «٥٠٤»، و(مجمع الزوائد) ج ٧ ص «١٥٤، ١٥٥، ١٥٦»، و(سنن الدارقطني)، ج ٢ ص «١٩٢»، و(المصنف) لعبد الرزاق، ج ٧ ض «٣١٢» و ج ٤ ص «٢٤٢» و ج ٣ ص «٢٠٧» و ج ٨ «٣٠٥ و ٥١٤ و ٥٦٠» و ج ٥ ص «٧٥»، وج ١ ص «٥٧٨ و ٥٧٩»، و(تاريخ بغداد) ج ٢ ص «١٨٩ و ج١ ص ٣٧٣ و ٣٧٢»، و(حياة الصحابة) ج ٣ ص «٥٠٦» عن (كنز العمال) ج ٢ ص «١٣٧»، و(الطبقات الكبرى) ج ٣ ص «٣٧١»، و(التراتيب) الإدارية ج ٢ ص «١٦٣»، و(تاريخ بغداد) ج ١ ص «٣٠٢»، و(المجروحين) ج ٢ ص «٢٦٩».

(٣) المصنف، ج ١١ ص «٢١٩».

(٤) (صحيح مسلم) ج ٢ ص «٢٠٢، ٢٠٣»، و(صحيح البخاري)، ج ٦ ص «١٠٠ و ١١١» وج٣ ص «٩٠» و(صحيح الترمذي) ج١١ ص «٦٠ و٦٢»، و(تفسير الطبري) ج١ ص «٩ - ١٥»، و(تفسير القرطبي) ج ١ ص «٤٣».

على جواز قراءة القرآن، بقراءات مختلفة فمما لا يمكن قبوله نقلا ولا عقلا. ذلك لأن الرواية معارضة لما نقل عنهم أيضا من أن القرآن نزل على ثلاثة أحرف[١]. كما أنها مناقضة لما روي صحيحا من طريق الإمامية عن أبي عبد الله (ع) لما سأله فضيل بن يسار حول ما روي في نزول القرآن على سبعة أحرف فقال الإمام (ع): «كذبوا - أعداء الله - لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد»[٢].

كما روي عن أبي جعفر (ع) «أن القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة» [٣]

وأيضا ينفي تفسير أحرف بتجويز سبع قراءات ما روي عن طريق الخاصة من أن المقصود من سبعة أحرف، أحرف المعاني وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومَثَلٌ وقَصَصٌ [٤] .

وعن طريق العامة نقل عن ابن مسعود في نزول القرآن علي خمسة أحرف وهو حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال [٥] . وروي أيضا عن علي (ع) أن القرآن نزل على أرباع، ربع حلال، وربع حرام، وربع مواعظ، ومثل وربع قصص وآثار [٦] . ومثل هذه الروايات كثيرة عن أهل السُنة [٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ج ١٠ ص «٥١٧».

(٢) الكافي، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، حديث ١٣ .

(٣) الكافي، كتاب فضل القرآن، باب النوادر حديث ١٢ . مثل هذه الرواية كثير عن الشيعة راجع فصل الخطاب ص «٢١٢».

(٤) رسالة النعماني في صنوف آي القرآن راجع التمهيد في علوم القرآن ج ٢ ص «٩٤».

(٥) تفسير الطبري، ج ١ ص «٢٤».

(٦) مسند زيد بن علي (ع) ص «٢٨٥».

(٧) آلاء الرحمن، ص «٣٠ و ٣١» عن المستدرك وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري وراجع البصائر والذخائر ص «١٣٠» عن أبي عبيدة، ومجمع الزوائد ج ٧ ص «١٥٣».

ومن روى من الشيعة حول نزول القرآن على سبعة: إمّا أنه مجهول [١] وإمّا غال متهم في دينه [٢] أو كان المقصود منها غير ما ذكره من تجويز اختلاف القراءات.

وأيضا فقد ورد في الروايات ما ينكر اختلاف القراءات مثل: ما رواه أحمد في مسنده: عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: «أقراني رسول الله سورة الأحقاف فخرجت إلى المسجد فإذا رجل يقرؤها على غير ما أقراني فقلت من أقرأك فقال: رسول الله. قال: قلت: للآخر اقرأها، فقرأها على غير قراءتي وقراءة صاحبي فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله هذان يخالفاني في القراءة فغضب وتمعّر وجهه وقال ﷺ :إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف، قال زر: وعنده ﷺ قال: فقال: إن رسول الله يأمركم أن يقرأ كل رجل كما أُقْرِئَ، فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف [٣].

فصريح الرواية نهي النبي ﷺ عن الاختلاف في القراءة والغضب من ذلك، ويتبين من الرواية أن الاختلاف لم يكن من ناحية رسول الله ﷺ بل النبي ﷺ يؤكد أن هذا الاختلاف هو الذي أهلك الأمم السابقة ولا ينبغي أن يوجد في أمة الإسلام.

فهذا الاختلاف الذي وجد في عهد النبي ﷺ من ناحية بعض الصحابة لاختلاف لهجاتهم مع النبي ﷺ وقبيلته أو وجد بعد النبي ﷺ سيما بعدما انتشر الأصحاب في الآفاق فقرؤوا القرآن عند الناس كل واحد منهم على قراءة خاصة في بعض المواضع من الكتاب هذا الاختلاف هو الذي خاف منه بعض الأصحاب وأوجب على عثمان أن يجمع الناس على قراءة واحدة وهي القراءة المتواترة عن

---

(١) ، (٢) البيان.

(٣) راجع مسند احمد ج ١ ص «٤١٩ و ٤٢١».

النبي ويظهر ذلك من الروايات التالية حول جمع عثمان له:

عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وآذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.. فأمر عثمان بجمع المصاحف(١).

وأيضا أن حذيفة قال: غزوت في فتح أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرؤون على قراءة أبيّ بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بجمع القرآن (٢).

فإذا كان الاختلاف في القراءة بحيث ينتهي إلى القول بالتحريف كما اتفق ذلك بالنسبة إلى اليهود والنصارى فهل يجوز عقلا أن يجوزه النبي ﷺ !!! وما معنى قول الطبري: إن أمر النبي ﷺ بقراءة القرآن على سبعة أحرف (التي لم يعمل بها عثمان بل حمل الناس على قراءة واحدة) أمر رخصة وإيجاب(٣) فلا يمكن أن يكون معنى الحديث هو اختلاف اللهجات والإشارة إلى تباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن وتفاوت التعليم وإلى اختلاف بعض ألفاظ وترتيب الجمل ولو لم يتغير به المعنى كما اختار ذلك الدكتور عبد الصبور. لأن ذلك عين القول بالتحريف وهو الذي غضب النبي له وخاف منه حذيفة وأمر عثمان بجمعه لحفظه من هذه الاختلافات وأيده الإمام أمير المؤمنين علي (ع)

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب جمع القرآن، ج ٦ ص «٢٢٦»، وتفسير الطبري ج ١ ص «٢٣».

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص «٢١».

(٣) تفسير الطبري ج ١ ص «٢٢».

وقال: «لو وليت لفعلت مثل الذي فعل» [١] .

٢ - ومن الروايات في هذا الباب التي ذكرت فيها بعض الآيات على خلاف ما هو المتواتر ما يشير إلى شأن نزول الآيات وإضافة بعض الكلمات لتوضيح الآيات. أما من قبل النبي ﷺ لتوضيح الآية وإضافة بعض أصحابه في مصحفه، وإما من قبل نفس الصحابة.

فيقول علي (ع): ولقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل والتأويل [٢] .

وقلنا إن الإمام قد ذكر في مصحفه شأن نزول الآيات وقد طلب ابن سيرين ذلك المصحف، من أجل هذه المطالب التي فيه ولكنه لم يجده.

فالروايات التي ذكر فيها اسم علي (ع) في بعض الآيات بالإضافة إلى إمكان الخدش في سندها، يمكن أن تكون من هذا القسم، ويدل على أن بعض الروايات تنفي وجود اسم علي في القرآن:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) فقلت له إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليا في القرآن وأهل بيته في كتاب الله؟ فقال: فقولوا لهم إن رسول الله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله ثلاثا وأربعا حتى كان رسول الله هو الذي فسر لهم ذلك [٣] .

فهذه الرواية صريحة في نفي كون اسم علي (ع) قد ورد في القرآن، فتحمل الروايات التي ذكرت في بعض الآيات اسم علي، على الشرح والتفصيل.

كما أن الإمام الصادق (ع) كان كثيرا ما يقرأ آية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج ١ ص «٢٤٠»، ومناهل العرفان، ج ١ ص «٢٥٥»، وتاريخ القرآن للزنجاني، ص «٤٥»، وسعد السعود، ص «٢٧٨»، والمصاحف، ص «١٢»، وإرشاد الساري، ج ٧ ص «٤٤٨».

(٢) آلاء الرحمن ص «٢٥٧».

(٣) أصول الكافي في كتابة الحجة باب نص الله ورسوله على الأئمة.

إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ولكنه لم يقرأ منها ولم يضف إليها اسم علي (ع) [(١)].

والحال أن أهل السُنة أيضا قد رووا هذه الآية مع إضافة اسم علي (ع) إليها[(٢)] وأيضا يدل على ما ذكر رواية أخرى عن أبي الحسن الماضي قال: قلت هذا الذي كنتم به تكذبون فقال الإمام (ع) يعني أمير المؤمنين: قلت تنزيل قال نعم [(٣)].

فهذا يدل على أن اسم أمير المؤمنين لم يكن من القرآن بل من التنزيل الذي نزل من عند الله تفسيرا للمراد من الآية [(٤)]. والرواية تدل على ذلك.

ومن مصاديق هذا الباب ما رواه السُنة والشيعة على حد سواء بشأن آية:«حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» حيث أضيف إليها صلاة العصر»[(٥)].

واضح أن إضافة «صلاة العصر» في المصحف لم يكن بمعنى أنها من الآية، بل هو تفسير لهذه الكلمة. ولذا قال القاضي ردا على من نسب إلى ابن مسعود حذف المعوذتين من مصحفه وأن أبيّ بن كعب أضاف إلى مصحفه سورتي الحفر والخلع، أنه يمكن أن يكون قد أثبت بعض التأويلات والدعاء في مصحفه ويقول: «قد ثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل» [(٦)].

---

(١) راجع رواياته في الكافي، وراجع آلاء الرحمن في تحريف القرآن ص ١٧ ط ١٣٨١ .

(٢) الدر المنثور جـ ٢ ص ، ٢٩٨

(٣) أصول الكافي في كتاب الحجة باب النكت من التنزيل في الولاية.

(٤) على ما نقل عن بعض الأعلام حول معنى التنزيل والرواية أيضًا تدل على ذلك.

(٥) تفسير القمي جـ ١ ص ٨٤، ومصنف ابن أبي شيبة جـ ٢ ص ٥٠٤، وراجع الإتقان عن عائشة وكذا ابن أبي شيبة جـ٢ ص ٥٠٦، ومجمع الزوائد جـ ٧ ص ١٥٤، وقال رجاله ثقات.

(٦) البرهان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٢٨ .

وأيضا فقد أجاب الباقلاني عن ذلك: «بأن الذكر في القنوت المروي أن أبيّ بن كعب قد أثبته في مصحفه لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل بل هو ضرب من الدعاء وأنه لو كان قرآنا لنقل إلينا وحصل العلم بصحته» [(١)].

ونحن هنا نشير إلى السؤال التالي: كيف يقولون هذا بالنسبة إلي ما رواه كبراؤهم ولا يقولون بنفس هذا الكلام في توجيه ما روي عن أئمة الشيعة عليهم السلام (إن صح وثبت عنهم). ولكن البعض - وقد يكون بدافع الاتهام لا الموضوعية - ذكر بعض هذه الروايات وزعم أنه قد أثبت أن الشيعة يقولون بالتحريف.

يقول الفيض الكاشاني: «ولا يبعد أيضا أن يقال: إن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى أي حرفوه وغيرّوه في تفسيره وتأويله أعني حملوه على خلاف ما هو به، فمعنى قولهم عليهم السلام «كذا نزلت» أن المراد به ذلك لا أنها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ» [(٢)].

٤ - ومن الروايات التي ذكر أنها يشم منها التحريف:الرويات التي ذكر فيها أن القرآن محرف.

ولكننا نقول : إن الروايات التي تقول بتحريف القرآن إنما تشير إلى التحريف المعنوي لا اللفظي، بقرينة تصريح رواية أخرى بذلك:

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن بدر بن الخليل الأسدي نقل رسالة الإمام أبي جعفر (ع) إلى سعد الخير جاء فيها:

« ... وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرَّفوا حدوده فهم يروونه، ولا

(١) مناهل العرفان جـ ١ ص ٢٦٤ عن الانتصار

(٢) تفسير الصافي جـ ١ ص ٥٢ .

يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم ترك الرعاية، وكان من نبذهم الكتاب أن ولوه الذين لا يعلمون فاوردوهم الهوى وأصدروهم إلى الردى وغيروا عرى الدين ثم ورثوه في السفه والصبا»[١].

فالإمام علي (ع) يصرح بأنهم أقاموا حروف القرآن ولكن حرَّفوا حدوده، فعلى ذلك تحمل الروايات التي ورد فيها ذكر تحريف القرآن - أي أن المراد هو التحريف المعنوي كرواية ٩٥ من الروضة وما ذكره الصدوق في خصاله ص ٩٣ .

فمع اعتقاد الصدوق بعدم التحريف، وذكره أيضًا هذه الرواية؛ نفهم أن المقصود من التحريف هو التحريف المعنوي لا اللفظي.

كما أن ذكر كلمة التمزيق والنبذ بالنسبة إلى القرآن في بعض الروايات (الخصال ص ٨٣) أيضًا يدل على التحريف المعنوي:

بعد كل ما مرَّ نقول:

إذا وجدت رواية لا يمكن تطبيقها على واحد من التوجيهات (الأربعة) التي ذكرنا فإنا نعرضها على القرآن. ولما كان القرآن يصرح بحفظ الله له فقد وجب أن نضرب هذه الروايات عرض الجدار، وهذا ما أمرنا به النبي الأعظم ﷺ والأئمة البررة عليهم السلام.

• الشيعة والتحريف

توجد في كتب أعلام الشيعة بعض النصوص الدالة على اعتقادهم بسلامة القرآن من التبديل والنقصان. وهذه النصوص أتم دليل على أن القرآن الموجود بين الدفتين هو عين ما أنزل الله، وعدم اعتقاد الإمامية بزيادة فيه أو نقصان منه، وهنا نذكر كلمات زعماء الشيعة وكبار علمائهم وبعض كتبهم ورسالاتهم في إثبات عدم التحريف.

(١) رواضة الكافي، جـ ١ ص ٧٦ ط إسلامية.

١ - الفضل بن شاذان وهو أحد مصنفي الشيعة في القرن الثالث الهجري ومن يقرأ كتابه المسمى بـ «الإيضاح» يفهم منه أنه اتهم بعض فرق أهل السنة باعتقادهم بالتحريف وخطابه في الكتاب يوجه إليهم بما رووا حول نقص القرآن؛ فأما ما استنبط من نقله هذه الرواية أنه قائل بالتحريف فهو واهم قطعًا، بل هو في كتابه يقول: «ومما رويتم...» ويكرر هذا في صفحات متعددة.

٢ - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بالصدوق المتوفى ٣٨١ يقول:

«اعتقادنا أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ما هو بين الدفتين وهو ما في أيد الناس ليس بأكثر من ذلك... ومن نسب إلينا أن نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»[١].

فالصدوق من أجلّ علماء الشيعة وهو مع تبحره في الحديث والتاريخ ينكر نسبة الاعتقاد بالتحريف إلى الإمامية.

٣ - السيد المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي المتوفى ٤٣٦هـ يقول في جواب المسائل الطرابلسيات:

«... إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة؛ فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه... إن القرآن كان على عهد رسول الله مجموعًا مؤلفًا على ما هو عليه في ذلك الزمان حتى عين النبي ﷺ على جماعة من الصحابة حفظهم له، وكان يُعرض على النبي ﷺ ويُتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبي بن كعب ، وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق.

تأمل على أنه كان مجموعًا مرتبًا غير مبتور ولا مبثوث.. . وأن من خالف من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنوا صحتها لا يُرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته»[١].

٤ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦١هـ يقول:

«وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مُجمَعٌ على بطلانها، وأما النقصان منه فالظاهر أيضًا من مذاهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى ﷺ، وهو الظاهر من الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد ولا يستوجب علمًا فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها، لأنه لا يمكن تأويلها، ولو صحت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين، فإنَّ ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه، وروايتنا على قراءته والتمسك بما فيه، وردٌ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عُوِّل عليه، وما خالفه يجتنب ولم يلتفت إليه، وقد ورد عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه ﷺ قال: «إنِّي مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتُم بهما لن تضلُّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعًا على صحته فينبغي أن يتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه»[٢].

---

(١) مجمع البيان جـ ١ ص ١٥ .

(٢) راجع تفسير الصافي جـ ١ ص ٥٥ عن الشيخ الطوسي.

٥ - أبو علي الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان يقول:

«... الكلام في زيادة القرآن ونقصانه: فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من الحشوية العامة أن في القرآن تغييرًا أو نقصانًا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه»[١].

٦ - السيد ابن طاووس المتوفى : ٦٦٤ هـ يقول في كتابه المسمى بسعد السعود:

«إن رأي الإمامية هو عدم التحريف»[٢]. ويقول ردًا على أهل السنة:

«قد تعجبت ممن استدل على أن القرآن محفوظ من عند رسول الله وهو الذي جمعه ثم ذكر ها هنا اختلاف أهل مكة والمدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة واختار أن بسم الله الرحمن الرحيم ليست من السورة، وأعجب من ذلك احتجاجه بأنها لو كانت من نفس السورة لكان قد ذكر قبلها افتتاح؛ فيا لله ويا للعجب إذا كان القرآن مصونًا من الزيادة والنقصان كما يقتضيه العقل والشرع فكيف يلزم أن يكون قبلها ما ليس فيهما وكيف كان يجوز أصلاً»[٣].

٧ - ملا محسن المعروف بالفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١هـ : بعد نقل جمع من الروايات التي يشم منها التحريف يقول:

«ويرد على هذا كله إشكال وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل في كل آية منه أن يكون محرفًا ومغيرًا ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم تبق لنا في القرآن حجة أصلاً فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضًا قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ

(١) مجمع البيان جـ ١ ص ١٥ .

(٢) سعد السعود ص ١٤٤ و ١٤٥ و ١٩٢ و ١٩٣ .

(٣) نفس المصدر ص ١٩٣ .

لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير!! وأيضًا قد استفاض عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على الكتاب لتعلم صحته بموافقته له، وفساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بين أدينا محرفًا فما فائدة العرض، مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله»[1].

ويقول أيضًا في إثبات عدم التحريف في سائر كتبه[2]: «هذا صريح قول الفيض في عدم التحريف بعد نقله بعض روايات التحريف وإنك ترى أن يحكم بمخالفتها للكتاب ولزوم الحكم بفسادها عند المخالفة ولكن بعض المنحرفين الذين يسعون في الأرض فسادًا ينسبون القول بالتحريف إلى الفيض لنقله بعض الروايات (ولكن لم يذكر حكمه ليشوش عليها الأذهان حول الإمامية وهو يؤكد على نسبة القول بالتحريف بالنسبة إلى الفيض في صفحات من كتابه[3]»إن هذا إلا ضلال مبين».

٨ - محمد بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ يقول:

«... والصحيح أن القرآن العظيم محفوظ من ذلك زيادة كان أو نقصانًا ويدل عليه قوله تعالى ﴿وإنا له لحافظون﴾ وما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم أمير المؤمنين في بعض المواضع مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة ٦٧]في علي» وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء»[4].

---

(١) تفسير الصافي جـ ١ ص ٥١ .

(٢) راجع الوافي جـ ٥ ص ٢٧٤، وعلم اليقين ص ١٣٠ نقلاً عن البيان، ص ٢١٩ .

(٣) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، ص ٩٢ ، ١٣٣ و ١٣٦ .

(٤) راجع تفسير آلاء الرحمن ص ٢٦ .

٩ - الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي: صاحب الكتاب القيم «وسائل الشيعة» المتوفى ١١٠٤هـ، يقول في رسالة في إثبات عدم التحري (بالفارسي) ما تعريبه:

«ومن له تتبع في التاريخ والأخبار والآثار يعلم علمًا يقينًا بأن القرآن ثبت بغاية التواتر وبنقل آلاف من الصحابة، وأن القرآن كان مجموعًا مؤلفًا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

هذا صريح قول الشيخ الحر العاملي أحد أعلام الشيعة ومحدثيهم أثبته في رسالة له في إثبات عدم نقص القرآن ولكن ترى أن بعض الكذابين ينسبون إليه القول بالتحريف(٢).

١٠ - العالم المحقق زين الدين البياضي صاحب كتاب «الصراط المستقيم» يقول في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان)(٣).

١١ - القاضي سيد نور الله التستري يقول:

«ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما يقول به جمهور الإمامية، إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم»(٤).

١٢ - المقدس البغدادي: في كتابه «شرح الوافية» نقل الإجماع على عدم النقيصة بين أصحابنا(٥).

---

(١) إظهار الحق، رحمة الله الهندي جـ ٢ ص ١٢٩ وراجع كتاب افسانه تحريف ص ٢٣٩ (فارسي).

(٢) السنة والشيعة ص ٩٣ .

(٣) إظها الحق جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٤) آلاء الرحمن للشيخ المجاهد البلاغي ، ص ٢٥ - ٢٦ عن مصائب النواصب وإظهار الحق، حـ ٢ ص ١٢٩ .

(٥) آلاء الرحمن ص ٢٦ ، والشيعة في الميزان ص ٣١٤، وبرهان روشن ص ١١٣ (فارسي).

١٣ - كاشف الغطاء وهو ينفي القول بالتحريف ونسبته إلى الإمامية في كتابه «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء».

١٤ - السيد المجاهد محمد جواد البلاغي في كتابه التفسير المسمى بـ «آلاء الرحمن» ينكر نسبة التحريف إلى الإمامية.

١٥ - السيد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم في كتابه «فوائد الأصول» في قسم حجية الكتاب يقول بعدم التحريف[١].

١٦ - آية الله كوه كمري يقول بعدم التحريف على ما حكى عنه تلميذه في كتاب «بشرى الأصول».

١٧ - السيد محسن الأمين العاملي: ينادي بالقول بعدم التحريف في كتابه أعيان الشيعة الذي ألف حول حياة شخصيات الشيعة وأعيانها في التاريخ ويقول بالنسبة إلى من نسب ذلك إلى الشيعة:

«فهذا كذب وافتراء تبع فيه ابن خرم... ونص كبراء الشيعة ومحدثوهم على خلافه». ويقول أيضًا في موضع آخر:

«لا يقول أحد من الإمامية لا قديمًا ولا حديثًا إن القرآن مزيد فيه قليل أوكثير بل كلهم متفقون على عدم الزيادة ومن يعتد بقولهم متفقون على أنه لم ينقص منه... ومن نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجترئ على الله ورسوله»[٢].

١٨ - ملا فتح الله الكاشاني: صاحب تفسير منهج الصادقين[٣].

١٩ - الميرزا حسن الأشتياني: في كتابه بحر الفوائد.

٢٠ - الشيخ المامقاني: في كتابه تنقيح المقال...

(١) راجع كشف الارتياب في رد فصل الخطاب.

(٢) أعيان الشيعة جـ ١ ص ٥١ و ٤٦ ط دار التعارف.

(٣) راجع كتاب «برهان روشن» للمرزا مهدي البروجردي.

٢١ - الشيخ محمد النهاوندي في تفسيره المسمى بنفحات الرحمن.

٢٢ - السيد علي نقي الهندي في مقدمة كتابه المسمى بتفسير القرآن.

٢٣ - السيد محمد مهدي الشيرازي.

٢٤ - السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

٢٥ - السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه (أجوبة مسائل موسى جار الله).

٢٦ - السيد محمد رضا الكلبايكاني.

٢٧ - السيد الإمامي الخميني في كتابه كشف الأسرار.

وهناك نصوص أخرى من علماء الشيعة حول نفيهم القول بالتحريف لم نذكرها هنا فمن أراد فليراجع كتبهم الأصولية في بحث حجية الكتاب وأيضًا كتاب: «كشف الارتياب في رد فصل الخطاب».

وقد ترك لنا هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم أخيرًا كتابات تدل على قولهم بعدم التحريف أوردها صاحب كتاب (برهان روشن) الميرزا مهدي البروجردي حفظه الله، وذكر أيضًا عدة من الأفاضل غير من ذكرنا. راجع كتابه «كتاب ورسالات حول إثبات عدم التحريف»:

١ - رسالة من الشيخ الحر العاملي صاحب كتاب لؤلؤة البحرين[١].

٢ - رسالة من الشيخ عبد العالي الكركي في نفي النقيصة[٢].

٣ - رسالة من الشيخ العالم آقا برزگ الطهراني المسمى «النقد اللطيف في نفي التحريف»[٣].

(١) افسانة تحريف ٢٣٩ (فارسي).

(٢) آلاء الرحمن ص ٢٦ .

(٣) الذريعة جـ ١٦ .

٤ - بحث للسيد الخوئي في كتابه «البيان في تفسير القرآن».

٥ - بحث للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الكبير المسمى بـ «الميزان في تفسير القرآن» ذيل آية إنا نحن نزلنا الذكر...

٦ - رسالة من عبد الحسين الرشتي الحائري باسم : «كشف الاشتباه» في رد موسى جار الله.

٧ - الشيخ عبد الرحيم التبريزي ألف كتابه المسمى «آلاء الرحيم» في الرد على التحريف.

وفي ختام نقل كلمات علماء الشيعة نذكر كلام أحد علماء السنة حول اعتقاد الشيعة بعدم التحريف يقول العالم السني رحمة الله الهندي صاحب كتاب إظهار الحق حول الشيعة والقرآن:

«إن القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم»[(١)].

(١) إظهار الحق جـ ٢ ص ١٢٨ .

قصة مصحف علي عليه السلام

• علي (ع) وجمع القرآن

ورد في كتاب التاريخ والحديث أن عليًا رضي الله عنه جمع القرآن وحفظه كله، وثبت أنه من كتاب الوحي ومن أجلّهم.

يقول ابن أبي الحديد: «اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه»(١).

وعن سليم بن قيس: «أن عليًا عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه فلم يخرج من بيته حتى جمعه»(٢).

وعن الكلبي قال: «لما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته فجمع القرآن»(٣).

وعن الكتاني: «أن عليًا جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ»(٤).

وعن ابن المنادي: «حدثني الحسن بن العباس قال: أخبرت عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن علي رضي الله عنه أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع في القرآن من قلبه»(٥)، فمع قرابة علي رضي الله عنه من النبي ﷺ وكونه مع النبي دائمًا

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ١ ص ٢٧ . (٢) كتاب سليم بن قيس، ص ٢٥ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل جـ ١ ص ٤ . (٤) التراتيب الإدارية، جـ ١ ص٤٦ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٠، وأعيان الشيعة ط ٢ دار التعارف، جـ ١ ص ٨٩، ومصنف ابن أبي شيبة جـ ١ ص ٥٤٥، والطبقات الكبرى جـ٢ ص ٣٣٨، وتفسير ابن كثير جـ ٤ قسم

يقتضي ذلك طبعًا أن يكون جمعه للقرآن بأحسن وجه، فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت: يا رسول الله ما هذه الرَّنَّة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنك لست بنبي لكنك لوزير وإنك لعلى خير»[1].

ونقل أيضًا عن سليمان الأعمش قال: قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ما نزلت آية إلا وأنا علمت فيما أُنزلت وأين نزلت وعلى من نزلت: إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا طلقًا»[2].

وعنه عَلَيْهِ السَّلَام : «سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل»[3].

وكذا عن سليم بن قيس عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابها ودعا الله عز وجل أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علمًا أملاه عليَّ فكتبته»[4].

فضائل القرآن ص ٢٨ .

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص ٣٠٠ و ٣٠١، الخطبة القاصعة، وراجع حول ذلك شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ١٣ من صفحة ١٩٨ إلى ٢١٢ .

(٢) تفسير العياشي، جـ ١ ص ١٧، والبحار، جـ ٨٩ ص ٩٧، والطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٣) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٤) إكمال الدين جـ ١ ص ٤٠١ بحار الأنوار ٨٩ ص ٩٨ - ٩٩ و ٧٩ عنه، والبرهان جـ ١ ص ١٦، والاحتجاج ص ١٣٩، وراجع نهج السعادة جـ ٢ ص ٦١٨، ٦٢٣، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٧٦ عن مصادر مختلفة

ولما كان الإمام عالمًا بتمام الآيات علمًا وافيًا، وعالمًا بشأن نزولها، فقد كتب مصحفه طبقًا لما نزل ولما أمره به رسول الله ﷺ حسب الرواية السابقة، وكتب أيضًا في مصحفه تأويل الآيات طبقًا لما علّمه إياه رسول الله ﷺ ولذا كان مصحفه رضي الله عنه أتم المصاحف وأكملها، بلحاظ وجود التأويلات وشأن نزول الآيات، كما كان تأليفه للمصحف طبقًا لما نزل في الأزمنة المختلفة.

روى محمد بن سيرين عن عكرمة قال: «عند بدء خلافة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته يجمع القرآن. قال فقلت لعكرمة : هل كان تأليف غيره كما أُنزِلَ. الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الجن والإنس على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا»[1].

ويقول المفيد حول مصحف الإمام رضي الله عنه : «فقدم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في حقه»[2].

وكذا يقول : «ومما لا خلاف فيه بين المسلمين المفسرين هو حذف ما كان مثبتًا في مصحف أمير المؤمنين من تأويل القرآن وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله»[3].

وهذا صريح في أن من ادعى أنه قد كان في مصحف الإمام بعض النصوص المثبتة لخلافته رضي الله عنه إنما كان من قبيل تأويل القرآن وتنزيله.

وعن ابن جزي الكلبي: «لو وجد مصحفه عليه السلام لكان فيه علم كثير»[4].

وعن السيوطي حول اختلاف ترتيب السور في مصاحف السلف قوله: «فمنهم من رتبها على ترتيب النزول وهو مصحف علي. كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم

---

(١) الإتقان جـ ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

(٢) بحار الأنوار جـ ٨٩ ص ٧٤ .

(٣) أوائل المقالات ص ٩٤ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، جـ ١ ص ٤ .

المزمل ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني»[١].

وكذا عن ابن سيرين على ما حكي عنه ابن أبي أشتة: «إن عليًا كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ» وكذا عن ابن سيرين: «تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه»[٢]، وكذا عن ابن سيرين «ولو أصيب ذلك الكتاب لكان فيه العلم»[٣].

فهل كان ابن سيرين يعتقد بأن مصحف علي رضي الله عنه فيه بعض الآيات التي ليست في المصاحف الأخرى!؟ لا بل هذه الإضافات ما هي إلا تأويلات وتنزيلات، وهذا عين ما صرح به الإمام رضي الله عنه نفسه إذ قال:

«ولقد جئتهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل»[٤].

وتشير إلى ذلك روايات [٥]تصرح بوجود بعض أسماء المنافقين من قريش في مصحف الإمام رضي الله عنه وهذه الأسماء من التأويلات ولشرح شأن نزول الآيات.

ولما كان هذا النحو من الجمع لا يكون إلا من أمير المؤمنين رضي الله عنه فإننا نجد الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلاَّ كذَّاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلاَّ عليٌّ بن أبي طالب والأئمة بعده»[٦].

أما حمل جمع علي رضي الله عنه للقرآن على جمعه في الصدر[٧] فهو مخالف لما

(١) الإتقان جـ ١ ص ٦٢ .

(٢) الإتقان : جـ ١ ص ٥٧، والطبقات الكبرى : جـ ٢ ق١ ص ١٠١ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ص ١٨٥، والطبقات الكبرى: جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٤) آلاء الرحمن : ص ٢٥٧، عن نهج البلاغة وغيره.

(٥) الاحتجاج، راجع البحار، جـ ٩٢، ص ٤٢، ط إيران، وراجع بصائر الدرجات، ص ١٩٣ والكافي كتاب فضل القرآن، ط/ إسلامية فيه روايات متعددة.

(٦) الكافي ، كتاب فضل القرآن.

(٧) روح المعاني : جـ ١ ص ٢١ .

صرحت به الروايات الواردة في تأليف القرآن في المصحف، وما ورد حول كيفية تأليفه، فتبين أنه ليس في النصوص التي وردت حول مصحف علي عليه السلام إشارة إلى وجود بعض الآيات إضافة لما كان في مصاحف غيره، بل فيه التأويلات وتبيين محل نزول بعض الآيات فقط.

مصحف فاطمة عليها السلام

يمكن أن يتوهم أن مصحف فاطمة عليها السلام من قسم مصحف عائشة أو حفصة أو غيرهما من الصحابة والتابعين، فيه ذكرت الآيات على نحو يختلف عما ذكرت في القرآن المتواتر، ونحن نقول:

ورد في روايات كثيرة ذكر مصحف فاطمة رضي الله عنها ، وصرح في بعضها أن في هذا المصحف علم ما يكون وليس فيه ذكر حلال ولا حرام، كما صرحت بعض روايات أخرى بأن فيه وصية فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعلى هذا يمكن أن تكون فيه بعض المعارف التي تعلمتها فاطمة رضي الله عنها، من أبيها في طيلة حياتها، وتصرح بعض الروايات أيضًا بأن مصحف فاطمة ليس فيه قرآن ولم يكن مصحفًا قرآنيًا[١].

نحن لا نريد أن نعرف ماذا في مصحف فاطمة بل نريد أن نقول إن مصحفها ليس مصحفًا قرآنيًا ولذا لم يقع ما توهمه بعض الموهمين في المقام.

تنبيه وتعقيب

بعد بيان اعتقاد الإمامية بالنسبة إلى سلامة القرآن وعدم تحريفه يجب أن ننبه إلى بعض الأمور:

ألف: إن من المغالطات العامة (عمدًا أو سهوًا) هو الخلط بين فرق الشيعة وعدم التمييز بين اعتقادات كل فرقة منهم، فلا يفرقون بين الغلاة والمعتدلين، وعدم تفريقهم بين هذه الفرق أوجب لهم نسبة اعتقادات بعضهم إلى بعض آخر،

(١) راجع في كل ذلك الكافي، باب فيه ذكر الصحيفة، جـ ١ ص ٢٤٠ .

يقول الدكتور حفني داود بالنسبة إلى أحمد أمين المصري بأنه «لم يفرق التفرقة العلمية بين الإمامية والمؤلّهة... بل أكثر من ذلك يميز التمييز الدقيق بين المعتدلين من هؤلاء الأتباع ومن المتعصبين الذين يتناولون عقائد غيرهم بألسنة حداد»[١].

ويقول أيضًا:

«فالإمامية والزيدية من المذاهب الشيعية المعتدلة يختلفون كل الاختلاف عن الكيسانية والمؤلّهة والحلولية المتطرفة»[٢].

هذاالخلط ناشئ من جهلهم باعتقادات الشيعة الإمامية ونعتقد أنهم لم يميزوا هذا التمييز من أجل أن يستفيدوا من ذلك في هجمتهم على الإمامية وهذا مما لا يليق بفكر سليم وعاقل مسلم.

أما بعض المسائل التي كانت جزءًا من بعض اعتقادات الغلاة فلا تجوز نسبتها إلى الشيعة الإمامية، ومسألة التحريف من هذا القبيل، واعتقاد الغلاة بذلك كالسياري أو أحمد بن محمد الكوفي أو غيرهما، ونقلهم لبعض هذه الروايات يشير إلى أن ذلك كان من اعتقادات الغلاة ولا تصح نسبتها إلى الإمامية.

ولكن الجاهلين أو المغرضين قد نسبوا هذا القول إلى الشيعة من دون تفريق بين فرقهم من متقدميهم ومتأخريهم»[٣].

ونحن نرى أن معظم هذه الروايات قد ورد من طريق الذين كانوا متهمين بالغلو والكذب في كتب رجاليي الشيعة.

---

(١) مع الكتب الخالدة ، ص ١٧٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ١٦٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٢٧ ، والخازن جـ ١ ص ٧، وإعجاز القرآن للرافعي، ص ١٨٥، وتحت راية القرآن للرافعي ص ١٩٠، والانتصار للخياط المعتزلي، والتمام جـ ١ ص٣٢ .

والآن نجد بعض العلماء المشهور بأنهم من الإمامية في بعض المناطق يميلون إلى بعض الغلاة كما في الهند والباكستان وهم يكتبون بعض الكتابات العقائدية التي يفهم منها أنهم قائلون بالتحريف.

كما أن سائر اعتقاداتهم أيضًا تشير إلى ميلهم إلى الغلاة، وهذا مما لم يقبله كبار الشيعة الذين ذكرناهم، ولا تتحمل الإمامية وزرهم، بل كانت هذه آراؤهم الشخصية ولا يمكن نسبتها إلى الإمامية، كما أن بعض علماء العامة في التاريخ كابن تيمية وغيره قد أظهروا بعض الأقوال في بعض المسائل مما لا يقبله أهل السنة عامة ولا يمكن نسبة هذه الاعتقادات إليهم كلهم.

فما نقل من قبل هؤلاء الأفراد لا تصح نسبته إلى الشيعة الإمامية، والذي أنصف في ذلك هو الزرقاني حيث قال:

«يزعم بعض غلاة الشيعة أن عثمان ومن قبله أبو بكر وعمر أيضًا حرَّفوا القرآن وأسقطوا كثيرًا من آياته وسوره»[١].

ويقول أيضًا : «إن بعض علماء الشيعة تبرؤوا من هذا السخف ولم يطق أن يكون منسوبًا إليهم»[٢].

كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: «إن الذين ألصقوا بالمصحف بعض روايات الكذب هم الغلاة»[٣].

«فانظر إلى آثار الشيعة تجد أنهم قد ألفوا في رد الغلاة عشرات الكتب وتبرؤوا منهم ومن اعتقاداتهم حتى يتبين لك الفرق العلمي بينهم»[٤].

---

(١) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٤ .

(٣) تاريخ القرآن ص ١٦٥ .

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة جـ ١٠ ص ٢١٢، ٢١٣ و ٢١٤ .

بـاء:من الأمور التي يجب التنبيه إليها هو وجود بعض الإخباريين بين الشيعة والسنة الذين يهتمون بالروايات من حيث الرواية والخبر من دون النظر في القرآن ومطاقبقة الروايات للكتاب وعدمها فهؤلاء يأخذون الروايات من دون تدقيق في إسنادها، ولا يفرقون التفرقة العلمية بين الروايات وقبول ما هو صحيح منها ورد ما هو غير صحيح.

فلذا لما رأى هؤلاء بعض الروايات التي ظاهرها التحريف خُدعوا بها واعتقدوا بالتحريف وحتى لو لم يكونوا معتقدين بالتحريف فإنهم على أية حال قد رووا هذه الأباطيل في كتبهم لأنهم احتملوا صحتها أو احتملوا لها وجهًا وجيهًا ليس من قبيل التحريف بنظرهم. والعهدة في ذلك عليهم لنقلهم هذه الروايات. وعلى أية حال فإن علماء الشيعة وكبراءهم كالصدوق والطوسي والمرتضى والطبرسي وغيرهم لم يعتقدوا بالتحريف وأنكروا نسبته إلى الشيعة وهذا هو الصحيح، وقد أكدوا على ضعف الروايات التي وردت في التحريف. راجع مقدمة مجمع البيان وغيرها ومقدمة تفسير الصافي والبحار وغيرهما.

فصل الخطاب، التحريف، أهل السنة

إن بعض الذين يحبون خداع الناس يظهرون بأن فصل الخطاب الذي ألف في تحريف الكتاب لميرزا محمد تقي النوري الطبرسي كله وارد من طرق الشيعة وذكروا اثنين من أدلة النوري التي ترجع إلى أحاديث الشيعة في الظاهر ولم يذكروا عشرة من أدلته الأخرى التي ترجع تسعة منها إلى روايات أهل السنة(١) وها نحن نذكر أدلة النوري واحدًا بعد واحد حتى يتبين للناس أن أكثرها منقول عن أهل السنة.

---

(١) الشيعة والقرآن لمؤلفه إحسان إلهي ظهير الذي انتخب من فصل الخطاب قسمه الأخير فقط لخداع الناس

أمــا دليله الأول: فـقـد نقل الروايات التي رواهـا العـامـة وبعض مـن الخـاصـة (الشـيـعـة) حـول: إن مـا وقـع في الأمم السـالـفـة كـبني إسـرائيل يقع فـي الأمـة الإسـلامـيـة أيضًـا، وذكـر روايات الصـحـاح من أهل السنة في ذلك، وينتج من ذلك أن مـا وقع في بني إسـرائيل هو تحـريف كتـابهم وهـو واقع فـي أمتنا الإسـلاميـة أيضًا.

ومع غض النظر عن عدم صحة هذا الاستدلال لأن ما أشارت إليه الرواية هو الحوادث الاجتاعية والسنن التاريخية التي أشار إليها القرآن نقول إن أكثر هذه الروايات منقول عن أهل السنة وإن كان فيها بعض ما روي عن الشيعة.

وأما دليله الثاني: فيذكر النوري فيه روايات السنة في جمع القرآن وما فيه من الزعبلات كجمع القرآن بشاهدين، أو وجود الآيات عند بعض الأفراد فقط و... فينتج من هذه الروايات عدم تواتر القرآن واحتمال وقوع التحريف.

ومع أن قـصـة جـمـع القـرآن بهـذا الشـكل إنما رواهـا أهل السـنة فـإن الشـيـعـة يعتقدون بأن القرآن قد جمع في عهد النبي ﷺ كما أشار إلى ذلك الطبرسي في مقدمته على مجمع البيان.

وأما دليله الثالث: ففيه يذكر النوري روايات أهل السنة حول الآيات والسور التي رفـعت تلاوتهـا!!! فـهـو بعد نفـيـه نسـخ التـلاوة يقـول: إن هـذه الروايات تدل على وجـود آيات وسـور حـذفت بأيدي الخلفـاء، فـهـذا أيضًـا كـمـا تـرى مما رواه أهل السنة.

ونحن أيضًا نـحكم ببطلان نسخ التـلاوة ولكننا نقول بالنسـبة إلى مـا روي في ذلك من الموارد أنهـا آحـاد لا يثـبت بهـا القـرآن ويجب علينا وعلى كل المسلمين طرحها والضرب بها عرض الجدار.

وأمـا دليله الرابع: فـإنه يذكر فيـه التقديم والتأخير في الآيات ثم يورد روايات

تدل على وجود التقديم والتأخير خلاف ما أنزل الله ومنها مصاحف السلف وقول أهل السنة بأن ترتيب القرآن اجتهاد من الصحابة، وترتيب القرآن في مصاحف الصحابة من أبي وعلي رضي الله عنهما، وابن مسعود، وفيه يذكر أيضًا شواهد من الشيعة.

ونحن أيضًا نعتقد بالتقديم والتأخير في السور ولكن لا في الآيات لأن بعض الروايات تصرح بأن تعيين الآيات قد كان من قبل الرسول ﷺ نفسه واختلاف ترتيب السور في المصاحف لا يثبت وقوع التحريف.

وأما دليله الخامس: فيذكر فيه المصنف اختلاف مصاحف الصحابة في نقل بعض الآيات والكلمات والسور، ويذكر الروايات في ذلك عن أهل السنة كالدر المنثور، والثعلبي والطبر، والإتقان، والكشاف وغير ذلك، ثم يستنتج من ذلك وقوع التحريف في الكتاب فهذا الدليل أيضًا كل رواياته مأخوذة عن السنة وإن كان فيه بعض الروايات عن الشيعة أيضًا حول اختلاف هذه المصاحف.

ونحن نقول إن هذه القراءات الشاذة التي تنسب إلى بعض الصحابة وكذا ما دل على وجود بعض السور والآيات الأخرى ما هي إلا روايات آحاد وأكثرها مكذوب ولا يثبت بها قرآن. خلاف القرآن الموجود الذي ثبت تواتره عند جميع المسلمين سوى الصانعين لهذه الروايات.

وأما دليله السادس: فيذكر فيه روايات أهل السنة حول أبي بن كعب بأنه اقرأ الأمة، ثم يذكر أيضًا رواياتهم حول مصحفه وأن فيه أكثر مما هو موجود الآن. يستنتج من ذلك أن المصحف الموجود ليس شاملاً لجميع ما في مصحفه فيثبت التحريف عنده، وروايات هذا الباب أكثرها عن السنة كما أن بعضها عن الشيعة.

وقولنا في ذلك هو ما قلناه في السابق.

وأما دليله السابع: ففيه ذكر عمل عثمان بإحراق المصاحف وحمل الناس على

قـراءة واحـدة، وهـذا أيضًـا ممـا رواه أهـل السنة كمـا رواه الشـيـعـة ولعلهم أخـذوه منهم، وكلاهمـا روى مخـالفة ابن مسعود لعمل عثمان، ثم يستنتج المصنف من هذا وجود التحريف مع توضيحات أخرى.

ونحن نقول بعد ذلك إن عمل عثمـان قد أيده الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومخالفة ابن مسعود إما مكذوبة عليه، وإما أنها كانت لأمر آخر، أوناشئة عن عدم معرفته بوجود اختلاف كثير في ذلك الزمان في قراءة القرآن كما أشار إليه حذيفة.

أما دليله الثامن: فتعرض فيه لما ذكره أهل السنة من الروايات والأقوال حول نقص القرآن، كما روي عن ابن عمر حول نقص القرآن وذهاب كثير من آياته، وما رواه المستدرك حول قصة أبي موسى الأشعري بجمع القراء وقوله لهم في أحد المسبحات (كما مر) وكذا قصة الخلع والحفر عن أهل السنة[١]، وأيضًا ما رواه البخاري حول زيادة صلاة العصر في الآية وما نقل في ذلك عن مصحف عائشة وعن البخاري حول تحريف آيات أخرى كموسم الحج وما استمعتم عن الثعلبي والإتقان والموطأ والمحاضرات للراغب الأصفهاني.

أما نحن فنقول في ذلك مثل قولنا في ما روي حول نسخ التلاوة وقد تقدم.

أما دليله التاسع: فهو استنباط خاص من بعض الروايات الواردة في بعض كتب الشيعة والتي ليس فيها ذكر القرآن ولا التحريف ولا اختلاف القراءة بل كل ما ورد فيها أن أسامي الأئمة عليهم السلام قد ذكرت في الكتب السماوية، ثم يستنتج المصنف من هذا أنه لابد وأن أساميهم كما ذكرت في الكتب السابقة فلابد وأن تكون مذكورة في القرآن لأنها مما يختص بتلاوة الإسلامية فإذا لم

(١) هذا مما رواه أهل السنة ونقله النوري عنهم، أما الذين خسروا الدنيا والآخر - كما ذكر ذلك النوري في كتابه - فقد نسبوا نقله إلى الشيعة، وما عشت أراك الدهر عجبًا (راجع : «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير).

نجدها في القرآن فلا يعني ذلك عدم ذكرها بل يدل على حذف هذه الأسماء من القرآن بأيدي المغرضين.

ونحن نقول إننا لا نقبل هذا الاستدلال لإمكان الخدش في مقدماته، كما يمكن أن يكون عدم ذكر أسامي الأئمة في القرآن إنما هو لدلائل أخرى لم نعلمها. وهناك أيضًا روايات أخرى تصرح بعدم ذكر اسم علي ﷺ فيه (وقد ذكرناها فيما مضى).

أما دليله العاشر: فيذكر فيه المصنف من روايات اختلاف القراءات التي رواها أهل السنة بطرق أكثر من أن تحصى، ويوجبونها برواية نزول القرآن على سبعة أحرف، ويجوزون هذه القراءات وإن زاد عددها على العشر كما صرح بذلك بعضهم، وأيضًا روى الشيعة في ذلك بعض القراءات التي لا يصح أكثر رواياتها وإن صح بعضها فإننا نجد في مقابلها ما أمر به الأئمة «اقرؤوا كما يقرأ الناس» و«اقرؤوا كما علمتم». كما أن هذه القراءات روايات أحاد لا تثبت قرآنًا إلا ما تواتر منها (وإن أمكن عدم قبول تواتر بعضها أيضًا ولعلها تفسيرات.

أما دليله الحادي عشر: فهو ودليله الآتي ترجع رواياتهما في الظاهر إلى الشيعة ففي هذا الدليل يذكر روايات الشيعة حول أن القرآن وقع فيه التحريف.. وجوابنا عن هذه الروايات المضافة إلى أن أكثرها مروي عن السياري (الغالي) وغيره من الضعفاء فإن المقصود بها هو التحريف المعنوي لا اللفظي لوجود رواية صحيحة تصرح بذلك وهي رسالة الإمام ﷺ لسعد الخير كما ذكرها الكليني في روضة الكافي (ذكرناها فيما مضى فراجعها).

أما دليله الثاني عشر: فقد جمع فيه المصنف روايات الشيعة في موارد مخصوصة من الآيات وتحريفها ويبلغ عددها ألف حديث.

ونحن نقول:

- إن أكثر من ٣٢٠ رواية من هذه الأحاديث يرجع إلى السياري (الغالي) الملعون على لسان الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والمخدوش من قبل الرجاليين.
- وإن أكثر من ٦٠٠ حديث من مجموع الألف حديث مكررة، والفرق فيها إما من جهة نقلها من كتاب آخر مع وحدة السند أو نقلها عن طريق آخر.

أما غير ما ورد من الروايات عن السياري وكذلك غير المكررات فإننا نجد أن أكثر من ١٠٠ حديث عبارة عن قراءات مختلفة أكثرها عن الطبرسي في مجمع البيان، وأيضًا فإن أكثرها مشترك بين السنة والشيعة، والطبرسي يروي عن رجال أهل السنة مثل : الكسائي، وابن مسعود، والجحدري، وأبي عبد الرحمن السلمي، والضحاك وقتادة، وابن عمرو، وابن حجاز، ومجاهد، وعكرمة،وعائشة، وابن الزبير، وحمزة،وابن يعمر، وابن نهيك، وسعيد بن جبير، والشعبي، وعمرو بن قائد، وغيرهم من رجال السنة، وبعد كل هذا هل يمكن القول بالتحريف استنادًا إلى قسم قليل من الروايات التي تبقى بعد ذلك حتى ولو كانت منقولة نقلها الكليني و علي بن إبراهيم القمي!!؟ مع أن أكثر علماء الشيعة يعتقدون بسلامته طبقًا للتواتر.

إضافة إلى كل ما سبق فإن بعض هذه الروايات التي ذكرها النوري يرجع إلى التفسير وشأن نزول الآيات كما صرّح به المجلسي في شرحه على أصول الكافي.

وفي ختام هذا البحث نذكر قول الشيخ آقا بزرگ الطهراني عن أستاذه الميرزا حسين النوري صاحب كتاب فصل الخطاب:

والطهراني يقول: «حسبما شافهنا به وسمعنا من لسانه فإنه كان يقول: أخطأت في تسمية الكتاب وكان الأجدر يسمى بـ (فصل في عدم تحريف الكتاب) لأني أثبتُّ فيه أن كتاب الإسلام - القرآن الشريف - الموجود بين الدفتين، المنتشر، في أقطار العالم، وحي إلهي، بجميع سوره وآياته وجمله لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل ولا زيادة ولا نقصان من لدن جمعه حتى اليوم، ولقد وصل إلينا

المجموع الأول بالتواتر القطعي... كما إني أهملت التصريح في مواضع متعددة من الكتاب حتى لا تسدد نحوي سهام العتاب والملامة بل صرحت غفلة بخلافه وإنما اكتفيت بالتلميح إلى مرامي في ص ٢٢ إذ المهم حصول اليقين بعدم وجود بقية للمجموع بين الدفتين، كما نقلنا هذا العنوان عن الشيخ المفيد في ص ٣٦، واليقين بعدم البقية موقوف على دفع الاحتمالات العقلائية الستة المستلزم بقاء أحدها في الذهن لارتفاع اليقين بعدم البقية، وقد أوكلت المحاكمة في بقاء أحد الاحتمالات أو انتفائه إلى من يمعن النظر في ما أدرجته في الكتاب من القرائن والمؤيدات، فإن انقدح في ذهنه احتمال البقية فلا يدَّعِ جزافًا القطع واليقين بعدمها وإن لم ينقدح فهو على يقين و(ليس وراء عبادان قرية) كما يقول المثل السائد، ولا يترتب على حصول هذا اليقين ولا على عدمه حكم شرعي فلا اعتراض لإحدى الطائفتين على الأخرى».

وأضاف الطهراني (ره): «هذا ما سمعنا من قول شيخنا نفسه أما عمله فقد رأيناه وهو لا يقيم لما ورد في مضامين الأخبار وزنًا، بل يراها آحادًا لا تثبت بها القرآنية بل يضرب بخصوصيتها عرض الجدار...»[1].

ويمكننا أن نقول - بكل ثقة وتحد - إن ما رواه أهل السنة في ذلك أكثر مما روي عن الشيعة بكثير ولو جمع بكل طرقه من الكتب التي نقلت هذه الروايات (من كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن والحديث...). فإذا كان الوضع والاختلاف في زمن البخاري حداه هو لجمع صحيحه (الذي يشتمل على سبعة آلاف مع أن ثلاثة آلاف منها مكررة) من ٦٠٠ الف حديث[2]، فلا يبعد وجود روايات التحريف في حد أعلى وأكثر مما روى الشيعة، وكتبهم وصحاحهم خير شاهد على ذلك.

(١) راجع مقدمة مستدرك الوسائل، جـ ١ ص ي.

(٢) فجر الإسلام ص ٢١٢، تاريخ بغداد ذيل ترجمة البخاري.

خاتمة

بعد إتمام البحث يجب أن أشكر سيدنا الأستاذ السيد جعفر مرتضى العاملي الحسيني الذي أعانني على جمع الروايات والمصادر، كما صحح المتن بعد إتمامه والشيخ حجة الإسلام التسخيري معاون العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي على مراجعته من جديد.

مصادر الكتاب

الميزان في تفسير القرآن	للسيد محمد حسين الطباطبائي
الصحيح من سيرة النبي ﷺ	للسيد جعفر مرتضى
الكافي	للشيخ الكليني
وسائل الشيعة	للشيخ الحر العاملي
المصنف	لعبد الرزاق
تفير الصافي	للفيض الكاشاني
كنز العمال	للمتقي الهندي
سنن الدارمي	للدارمي
الدر المنثور	للسيوطي
دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام	للسيد جعفر مرتضى
الإتقان	للسيوطي
البرهان في علوم القرآن	للزركشي
البيان في تفسير القرآن	للسيد الخوئي
صحيح البخاري	للبخاري
الطبقات الكبرى	لمحمد بن سعد
بحوث حول علوم القرآن وتاريخه	لميري محمدي
تاريخ القرآن	للدكتور عبد الصبور شاهين
الفهرست	لابن النديم

نور القبس — للمرزباني

المصاحف — لأبي داود

تفسير الطبري — للطبري

مناهل العرفان — للزرقاني

الشيعة والسنة — لإحسان إلهي ظهير

الخطوط العريضة — للخطيب

الإمام الصادق — لمحمد أبو زهرة

الكشاف — للزمخشري

الثقات — لابن حيان

جامع الأصول — لابن الأثير

مسند أحمد بن حنبل — لأحمد بن حنبل

حياة الصحابة — للكاندهلوي

مسند أبي عوانة — لأبي عونة

كشف الأستار — للبزار

تفسير ابن كثير — لابن كثير

الفرقان — لابن الخطيب

أخبار أصبهان — لأبي نعيم الأصبهاني

صحيح مسلم — لمسلم بن الحجاج

روح المعاني — للآلوسي

فتح الباري	لابن حجر
مجمع الزوائد	للهيثمي
المعتصر من المختصر	للباجي المالكي
تفسير القمي	لعلي بن إبراهيم القمي
بحار الأنوار	للمجلسي محمد باقر
بداية المجتهد	لابن رشد
تأويل مختلف الحديث	لابن قتيبة
التمهيد في علوم القرآن	لهادي معرفة
التنبيه والإشراف	للمسعودي
السيرة الحلبية	للحلبي
العقد الفريد	لابن عبد ربه
التفسير الكبير	للفخر الرازي
سعد السعود	للسيد ابن طاووس
فقه السنة	للسيد ابن طاووس
أحكام القرآن	لابن عربي
المدونة الكبرى	لمالك بن أنس
المنار	لمحمد رشيد رضا
الموافقات	للشاطبي
الإحكام في أصول الأحكام	للآمدي

تاريخ الخلفاء	للسيوطي
تهذيب تاريخ دمشق	لابن عساكر
برهان روشن (فارسي)	لميرزا مهدي البروجردي
رجال النجاشي	للنجاشي
قاموس الرجال	للتستري
معجم رجال الحديث	للسيد الخوئي
خلاصة الرجال	للعلامة الحلي
اختيار معرفة الرجال	للشيخ الطوسي
معالم العلماء	لابن شهر آشوب
الذريعة	لآقا بزرك الطهراني
دراسات في الحديث والمحدثين	للحسني
تنقيح المقال	للمقامقاني
جامع الرواة	للمقدس الأردبيلي
البحر الزخار	لابن مرتضى
تاريخ بغداد	للخطيب البغدادي
صحيح الترمذي	للترمذي
تفسير القرطبي	للقرطبي
آلاء الرحمن	للسيد البلاغي
آلاء الرحيم	للشيخ عبد الرحيم التبريزي

روضة الكافي للشيخ الكليني
التسهيل في علوم التنزيل لابن جزّي
الخصال للشيخ الصدوق
التراتيب الإدارية للكتاني
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
كتاب سليم بن قيس سليم بن قيس
مرآة العقول للمجلسي محمد باقر
الاحتجاج للطبرسي
تاريخ اليعقوبي ابن واضح اليعقوبي
تفسير العياشي للعياشي
أوائل المقالات للشيخ المفيد
الاستيعاب لابن عبد البر
كمال الدين للشيخ الصدوق
أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين
مجمع البيان للطبرسي
الوافي للفيض الكاشاني
علم اليقين للفيض الكاشاني
افسانه تحريف (فارسي) للمهدوي
الشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد مغنية

مستدرك الوسائل	للنوري
مع الكتب الخالدة	للدكتور حفني داود
إعجاز القرآن	للرافعي
تفسير الخازن	للخازن
تحت راية القرآن	للرافعي
الانتصار	للخياط المعتزلي
إرشاد الساري	للقسطلاني
عمدة القاري	للعيني
إظهار الحق	لرحمة الله الهندي
تفسير ابن كثير	لابن كثير
مفردات راغب	للأصفهاني

فهرس الكتاب